

٩  
س

الفَصِيْرَةُ

٣  
ل

للشيخ: محمد بن صالح العثيمين

- رحمه الله تعالى -

## بسم الله الرحمن الرحيم

### المقدمة

الحمد لله ، وصلاة وسلام على رسول الله ، وآله وصحبه ، ومن اتبع سنته وهداه ، أما بعد :  
فهذا تفرغ مبارك لشرح الشيخ الجليل : محمد بن صالح العثيمين - رحمه الله تعالى - للقصيدة الميمية  
للعلامة ابن قيم الجوزية - رحمه الله تعالى - ؛ وهى عبارة عن مجموعة من دروس فضيلة الشيخ العلمية  
وهو تعليق واضح مُيسر لمنظومة الحافظ العلامة ابن القيم - رحمه الله تعالى - التي كتبها وهو في طريقه إلى  
الحج - على الأرجح - .

يحتوي هذا الشرح على كثير من الفوائد والمواعظ والتذكير بمحبة الرعيل الأول من الصحابة  
رضوان الله عليهم أجمعين ووصف رائع وتصوير عجيب لحجاج بيت الله الحرام من حين أن يكشفوا  
رؤوسهم في الإحرام تواضعا لله تعالى وتلبية لدعوته ورضا بشرعه، ومحبة له عز وجل ورجاء لثوابه  
ومغفرته حتى يقفوا في المشاعر ويأدوا مناسكهم، ويطوفوا طواف الوداع ثم ختاماً دعوة صادقة إلى  
المبادرة والمسارة واعتنام العمر في طاعة الله عز وجل .

عملنا في هذا الشرح مع إنه جُهد المقل ؛ تلخص في تفرغ تعليقات الشيخ العثيمين - رحمه الله - وتنسيقها  
؛ كذلك عزو الأحاديث إلى مصادرها ، وإيضاح معنى بعض الكلمات التي صعب فهمها أو تلك التي  
ذكرها الشيخ باللهجة العامية وتبين مواضعها .

ولوجود اختلاف بين النسخة التي كانت مع الشيخ رحمه الله ؛ وبين تلك التي كان يقرأ منها الطالب حيث  
أن هذا الأمر سببه اختلاف المصادر ؛ وقد علق الشيخ - رحمه الله تعالى - بقوله أن هذه الأبيات ليس

لها تعلق بما سبقها من أبيات القصيدة ؛ وبالتالي لم يشرحها - رحمه الله - فسوف تجد أخي القارئ الكريم أن الشيخ لم يشرح قرابة تسع وعشرون بيتاً ؛ ابتداءً من قول المؤلف :

وَمَا ذَاكَ إِلَّا غَيْرُهُ أَنْ يَنَالَهَا \*\*\* سَوَى كُفْهِهَا وَالرَّبُّ بِالْخَلْقِ أَعْلَمُ  
إلى قوله:

وإن ضاقت الدنيا عليك بأسرها \*\*\* ولم يكُ فيها ————— منزلٌ لك يُعلمُ

ختاماً لا ننسى أن نشكر كل من قدّم يد العون أو شارك في هذا العمل ولو بالكلمة الطيبة ؛ فجزى الله الجميع خيراً الجزاء ، وأسأل المولى - عز وجل - أن يغفر لنا ولهم أي تقصير ؛ فاللهم لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ، وأن يجعله في ميزان حسناتهم إنه جواد كريم .

وصلّى الله وسلّم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

١٩ رجب سنة ١٤٠٦ هـ

## ترجمة الناظم

هو الفقيه المفتي الإمام الرباني شيخ الإسلام الثاني أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزُّرعي ثم الدَّمشقي الشهير بـ "ابن قيم الجوزية"<sup>(١)</sup> لا غيره خلافاً للكوثري الذي نبزه بـ "ابن زفيل" ولادته :

ولد -رحمه الله- في السابع من شهر صفر الخير سنة ٦٩١هـ .

### أسرته ونشأته وطلبه للعلم :

نشأ ابن قيم الجوزية في جوٍّ علمي في كنف والده الشيخ الصالح قيم الجوزية، وأخذ عنه الفرائض، وذكرت كتب التراجم بعض أفراد أسرته كابن أخيه أبي الفداء عماد الدين إسماعيل بن زين الدين عبد الرحمن الذي اقتنى أكثر مكتبة عمه، وأبناؤه عبد الله وإبراهيم، وكلهم معروف بالعلم وطلبه .

وعُرف عن ابن قيم الجوزية -رحمه الله- الرغبة الصادقة الجاححة في طلب العلم، والجلد والتفاني في البحث منذ نعومة أظفاره؛ فقد سمع من الشَّهاب العابر المتوفى سنة (٦٩٧هـ) فقال -رحمه الله- :

"وسمعت عليه عدّة أجزاء، ولم يتفق لي قراءة هذا العلم عليه؛ لصغر السنِّ، واخترام المنية له -رحمه الله- " وبهذا يكون قد بدأ الطلب لسبع سنين مضت من عمره .

### رحلاته :

قدم ابن قيم الجوزية -رحمه الله- القاهرة غير مرّة ، وناظر ، وذاكر .

وقد أشار إلى ذلك المقرئ فقال : "وقدم القاهرة غير مرّة . "

قال: "وذاكرت مرة بعض رؤساء الطب بمصر . "

وقال: "وقد جرت لي مناظرة بمصر مع أكبر من يشير إليه اليهود بالعلم والرياسة . "

---

(١) الجوزية هو اسم لمدرسة في دمشق كان والد الشيخ قيما لها ؛ فكان يقال له ابن القيم أو ابن قيم الجوزية .

وزار بيت المقدس، وأعطى فيها دروساً؛ قال: "ومثله لي قلته في القدس . "

وكان -رحمه الله- كثير الحجّ والمجاورة كما ذكر في بعض كتبه ؛ قال ابن رجب: "وحج مرات كثيرة، وجاور بمكة، وكان أهل مكة يذكرون عنه من شدة العبادة وكثرة الطواف أمراً يُعجب منه. "

### مكتبته :

كان ابن قيم الجوزية -رحمه الله- مُغرماً بجمع الكتب، وهذا دليل الرّغبة الصادقة للعلم بحثاً وتصنيفاً، وقراءة وإقراءً يظهر ذلك في غزارة المادة العلمية في مؤلفاته، والقدرة العجيبة على حشد الأدلة .  
وقد وصف تلاميذه -رحمهم الله- مكتبته فأجادوا :

قال ابن رجب: "وكان شديد المحبة للعلم وكتابته ومطالعة وتصنيفه، واقتناء الكتب، واقتنى من الكتب ما لم يحصل لغيره . "

وقال ابن كثير -رحمه الله-: "واقتنى من الكتب ما لم لا يتهاى لغيره تحصيل عُشره من كتب السلف والخلف . "

قلت: ومع هذا كله يقول بتواضع جم: "بحسب بضاعتنا المزجاة من الكتب . "  
ورحم الله شيخه شيخ الإسلام ابن تيمية القائل: "فمن نور الله قلبه هداه ما يبلغه من ذلك، ومن أعماه لم تزده كثرة الكتب إلا حيرة وضلالة . "

### مشاهير شيوخه :

تلقى ابن قيم الجوزية - رحمه الله - العلم على كثير من المشايخ ، ومنهم :

١ - قيم الجوزية والده - رحمه الله - .

٢ - شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - لازمه ، وتفقه به ، وقرأ عليه كثيراً من الكتب ، وبدأت

ملازمته له سنة (٧١٢هـ) حتى توفي شيخ الإسلام سجيناً في قلعة دمشق (٧٢٨هـ) .

٣ - المزي - رحمه الله - .

## تلاميذه :

- ١ - ابن رجب الحنبلي ، صرح بأنه شيخه، ثم قال: "ولازمت مجالسه قبل موته أزيد من سنة ، وسمعت عليه قصيدته النونية الطويلة في السنة ، وأشياء من تصانيفه وغيرها ."
- ٢ - ابن كثير - رحمه الله - قال : "وكنيت من أصحاب الناس له وأحب الناس إليه ."
- ٣ - الذهبي - رحمه الله - ترجم لابن القيم الجوزية في "المعجم المختص" بشيوخه .
- ٤ - ابن عبد الهادي - رحمه الله - ؛ كما قال ابن رجب: "وكان الفضلاء يعظمونه ويتلمذون له كابن عبد الهادي وغيره ."
- ٥ - الفيروز آبادي صاحب "القاموس المحيط" ، كما قال الشوكاني: "ثم ارتحل إلى دمشق فدخلها سنة (٧٥٥هـ) ؛ فسمع من التقي السبكي وجماعة زيادة عن مائة كابن القيم ."

## علاقته بشيخه ابن تيمية ومنهجه :

بدأت ملازمة ابن قيم الجوزية لشيخ الإسلام ابن تيمية عند قدومه إلى دمشق سنة (٧١٢هـ)؛ واستمرت إلى وفاة الشيخ سنة (٧٢٨هـ) ، وبهذا تكون مدة مرافقة ابن قيم الجوزية لشيخه ستة عشر عاماً بقي طيلتها قريباً منه يتلقى عنه علماً جماً ، وقرأ عليه فنوناً كثيرة .

قال الصفدي : "قرأ عليه قطعة من "الحرر" لجدّه المجد، وقرأ عليه من "الحصول" ، ومن كتاب "الأحكام" للسيف الأمدي، وقرأ عليه قطعة من "الأربعين" و"الحصل" وقرأ عليه كثيراً من تصانيفه "، وبدأت هذه الملازمة بتوبة ابن قيم الجوزية على يدي شيخه ابن تيمية ؛ كما أشار إلى ذلك بقوله شعراً:

يا قوم والله العظيم نصيحة . . . من مشفق وأخ لكم معوان

جربت هذا كله ووقعت في . . . تلك الشباك وكنيت ذا طيران

حتى أتاح لي الإله بفضلته . . . فتى أتى من أرض حرّان

من ليس تجزيه يدي ولساني . . . أهلاً بمن قد جاء من حران

وكان لهذه الملازمة أثرٌ بالغٌ في نفس ابن قيم الجوزية ؛ فشارك شيخه في الذَّبِّ عن المنهج السلفي وحمل رأيتَه من بعده ، وتحرر من كل تبعية لغير كتاب الله وسُنَّة رسوله بفهم السلف الصالح .

قال الشوكاني: "وليس له على غير الدليل مُعَوَّل في الغالب، وقد يميل نادراً إلى المذهب الذي نشأ عليه، ولكنه لا يتجاسر على الدَّفْع في وجوه الأدلة بالحامل الباردة ؛ كما يفعله غيره من المتذهبيين، بل لا بد له من مستند في ذلك ، وغالب أبحاثه الإنصافُ والميلُ مع الدليل حيث مال، وعدم التعويل على القيل والقال وإذا استوعب الكلام في بحث وطول ذيوله أتى بما لم يأت به غيره، وساق ما ينشرح له صدورُ الراغبين في أخذ مذاهبهم عن الدليل، وأظنها سرت إليه بركة ملازمته لشيخه ابن تيمية في السَّراء والضَّراء والقيام معه في محنة، ومواساته بنفسه، وطول تردده إليه .

وبالجملة فهو أحد من قام بنشر السُّنة، وجعلها بينه وبين الآراء الحديثة أعظم جُنَّة ، فرحمه الله وجزاه عن المسلمين خيراً .

ومع هذا كله فلم يكن ابن قيم الجوزية -رحمه الله- نسخةً من شيخه ابن تيمية، بل كان متفناً في علوم شتى -باتفاق المتقدمين والمتأخرين- تدل على علو كعبه، ورسوخه في العلم .

وكيف يكون ابن قيم الجوزية مُرَدِّدًا لصوت شيخه ابن تيمية -رحمه الله- وهو ينكر التقليدَ ويحاربه بكلِّ ما أتى من حَوْل وقوَّة ؟ !

ثناء العلماء عليه :

قال ابن كثير -رحمه الله-: "سمع الحديث ، واشتغل بالعلم ، وبيع في علوم متعددة ، ولا سيما علم التفسير والحديث الأصليين ، ولما عاد الشيخُ تقي الدين ابن تيمية من الديار المصرية في سنة ثنتي عشرة وسبعمائة لازمه إلى أن مات الشيخ، فأخذ عنه علماً جمًّا ، مع ما سلف له من الاشتغال؛ فصار فريداً في بابه في فنون كثيرة، مع كثرة الطَّلَب ليلاً ونهاراً، وكثرة الابتهاال ، وكان حسنَ القراءة والخلق ، وكثيرَ التَّوَدُّد لا يحسدُ أحداً ولا يؤذيه ، ولا يستغيبه ولا يحقدُ على أحد ، وكنت أصحاب الناس له ، وأحب

الناس إليه ، ولا أعرف في هذا العالم في زماننا أكثر عبادة منه ، وكانت له طريقةٌ في الصلاة يطيلها جداً ، ويمدُّ ركوعه وسجوده ويلومُه كثير من أصحابه في بعض الأحيان ، فلا يرجع ولا ينزع عن ذلك - رحمه الله - ، وله من التصانيف الكبار والصغار شيءٌ كثير ، وكتبَ بخطِّه الحسن شيئاً كثيراً ، واقتنى من الكتب ما لا يهياً لغيره تحصيل عشرة من كتب السلف والخلف .

وبالجملة كان قليلَ النظر في مجموعته وأموره وأحواله ، والغالب عليه الخير والأخلاق الصالحة ، سألته الله ورحمه . "

قال ابن رجب - رحمه الله : -

"وتفقه في المذهب ، وبرع وأفتى ، ولزم الشيخ تقي الدين وأخذ عنه ، وتفنن في علوم الإسلام ، وكان عارفاً بالتفسير لا يجارى فيه ، وبأصول الدين ، وإليه فيهما المنتهى ، والحديث معانيه وفقهه ، ودقائق الاستنباط منه ، لا يلحق في ذلك ، وبالفقه وأصوله بالعربية ، وله فيها اليد الطولى ، وتعلم الكلام والنحو وغير ذلك ، وكان عالماً بعلم السلوك ، وكلام أهل التصوف وإشاراتهم ودقائقهم ، له في كل فن من هذه الفنون اليد الطولى .

وكان - رحمه الله - ذا عبادة وتهجد ، وطول صلاة إلى الغاية القصوى ، وتأله ولهج بالذكر ، وشغف بالحبة ، والإنابة والاستغفار ، والافتقار إلى الله والانكسار له ، والإطراح بين يديه على عتبة عبوديته ، لم أشاهد مثله في ذلك ، ولا رأيت أوسع منه علماً ، ولا أعرف بمعاني القرآن والسنة وحقائق الإيمان منه ، وليس هو المعصوم ، ولكن لم أر في معناه مثله . "

وقال ابن ناصر الدين الدمشقي - رحمه الله - : "وكان ذا فنون في العلوم ، وخاصة التفسير والأصول في المنطوق والمفهوم . "

وقال السيوطي - رحمه الله : - "قد صنفَ ، وناظر ، واجتهد ، وصار من الأئمة الكبار في التفسير والحديث ، والفروع ، والأصلين ، والعربية . "



## مؤلفاته :

ضرب ابن قيم الجوزية بحظ وافر في علوم شتى يظهر هذا الأمر جلياً لمن استقصى كتبه التي كانت للمتقين إماماً، وأفاد منها الموافق والمخالف .

قال ابن حجر رحمه الله- ، "ولو لم يكن للشيخ تقي الدين من المناقب إلا تلميذه الشهير الشيخ شمس الدين ابن قيم الجوزية صاحب التصانيف النافعة السائرة التي انتفع بها الموافق والمخالف لكان غاية في الدلالة على عظم منزلته" .

وإليك أشهرها مرتبة على حروف المعجم :

١ - اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية .

٢ - أحكام أهل الذمة .

٣ - إعلام الموقعين عن رب العالمين .

٤ - إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان .

٥ - بدائع الفوائد .

٦ - تحفة المودود في أحكام المولود .

٧ - تهذيب مختصر سنن أبي داود .

٨ - الجواب الكافي، وهو المسمى "الداء والدواء" .

٩ - جلاء الأفهام في الصلاة والسلام على محمد ﷺ خير الأنام .

١٠ - حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح .

١١ - حكم تارك الصلاة .

١٢ - الرسالة التبوكية .

١٣ - روضة المحبين ونزهة المشتاقين .

- ١٤ - الروح .
- ١٥ - زاد المعاد في هدي خير العباد .
- ١٦ - شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل .
- ١٧ - الصواعق المرسلة على الجهمية والمعتلة .
- ١٨ - طريق المهجرتين وباب السعادتين .
- ١٩ - الطرق الحكمية في السياسة الشرعية .
- ٢٠ - عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين .
- ٢١ - الفروسية .
- ٢٢ - الفوائد .
- ٢٣ - الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية ، وهي "القصيدة النونية" .
- ٢٤ - الكلام على مسألة السماع .
- ٢٥ - مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين .
- ٢٦ - مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية أهل العلم والإرادة .
- ٢٧ - المنار المنيف في الصحيح والضعيف .
- ٢٨ - هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى .
- ٢٩ - الوابل الصيب في الكلم الطيب .

#### محنة وثبات :

حُبس مع شيخه ابن تيمية في المرة الأخيرة في القلعة منفردًا عنه بعد أن أهين وطيف به على جمل مضروبًا بالدرّة سنة (٧٢٦هـ) ، ولم يفرج عنه إلا بعد موت شيخه سنة (٧٢٨هـ) .

وحبس مرة لإنكاره شدّ الرحال إلى قبر الخليل .

قال ابن رجب رحمه الله- : "وقد امتحن وأوذي مرات " .

**وفاته :**

توفي رحمه الله- ليلة الخميس ثالث عشرين من رجب الفرد سنة (٧٥١هـ) ، ودفن بدمشق بمقبرة  
الباب الصغير - رحمه الله- وأسكنه الفردوس الأعلى ، وجمعنا وإياه في عليين مع النبيين ، والصديقين ،  
والشهداء ، والصالحين ، وحسن أولئك رفيقاً.

## ترجمة الشارح

### نسبه ومولده:

هو صاحب الفضيلة الشيخ العالم المحقق، الفقيه المفسر، الورع الزاهد، محمد ابن صالح بن محمد بن سليمان بن عبد الرحمن آل عثيمين من الوهبة من بني تميم.

ولد في ليلة السابع والعشرين من شهر رمضان المبارك عام ١٣٤٧هـ في عنيزة - إحدى مدن القصيم - في المملكة العربية السعودية.

### نشأته العلمية:

أحلقه والده - رحمه الله تعالى - ليتعلم القرآن الكريم عند جدّه من جهة أمه المعلم عبد الرحمن بن سليمان الدامغ - رحمه الله -، ثمّ تعلّم الكتابة، وشيئاً من الحساب، والنصوص الأدبية في مدرسة الأستاذ عبدالعزيز بن صالح الدامغ - حفظه الله -، وذلك قبل أن يلتحق بمدرسة المعلم علي بن عبد الله الشحيّتان - رحمه الله - حيث حفظ القرآن الكريم عنده عن ظهر قلب ولما يتجاوز الرابعة عشرة من عمره بعد .

وبتوجيه من والده - رحمه الله - أقبل على طلب العلم الشرعي، وكان فضيلة الشيخ العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي - رحمه الله - يدرّس العلوم الشرعية والعربية في الجامع الكبير بعنيزة، وقد رتب اثنين من طلبته الكبار؛ لتدريس المبتدئين من الطلبة، فانضم الشيخ إلى حلقة الشيخ محمد بن عبد العزيز المطوع . رحمه الله . حتى أدرك من العلم في التوحيد، والفقه، والنحو ما أدرك.

ثم جلس في حلقة شيخه العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي رحمه الله، فدرس عليه في التفسير، والحديث، والسيرة النبوية، والتوحيد، والفقه، والأصول، والفرائض، والنحو، وحفظ مختصرات المتون في هذه العلوم.

ويُعدّ فضيلة الشيخ العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي - رحمه الله - هو شيخه الأول؛ إذ أخذ عنه العلم؛ معرفةً وطريقةً أكثر مما أخذ عن غيره، وتأثر بمنهجه وتأصيله، وطريقة تدريسه، وأتباعه للدليل.

وعندما كان الشيخ عبد الرحمن بن علي بن عودان - رحمه الله - قاضيًا في عنيزة قرأ عليه في علم الفرائض، كما قرأ على الشيخ عبد الرزاق عفيفي - رحمه الله - في النحو والبلاغة أثناء وجوده مدرّسًا في تلك المدينة.

ولما فتح المعهد العلمي في الرياض أشار عليه بعض إخوانه أن يلتحق به، فاستأذن شيخه العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي - رحمه الله - فأذن له، والتحق بالمعهد عامي ١٣٧٢ - ١٣٧٣ هـ. ولقد انتفع - خلال السنتين اللتين انتظم فيهما في معهد الرياض العلمي - بالعلماء الذين كانوا يدرّسون فيه حينذاك ومنهم: العلامة المفسر الشيخ محمد الأمين الشنقيطي، والشيخ الفقيه عبدالعزيز بن ناصر بن رشيد، والشيخ المحدث عبد الرحمن الإفريقي - رحمهم الله تعالى -.

وفي أثناء ذلك اتصل بسماحة الشيخ العلامة عبد العزيز بن عبد الله بن باز - رحمه الله -، فقرأ عليه في المسجد من صحيح البخاري ومن رسائل شيخ الإسلام ابن تيمية، وانتفع به في علم الحديث والنظر في آراء فقهاء المذاهب والمقارنة بينها، ويُعدّ سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز - رحمه الله - هو شيخه الثاني في التحصيل والتأثر به.

ثم عاد إلى عنيزة عام ١٣٧٤ هـ وصار يدرّس على شيخه العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي، ويتابع دراسته انتسابًا في كلية الشريعة، التي أصبحت جزءًا من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، حتى نال الشهادة العالية.

## تدريسه:

توسَّم فيه شيخه التَّجَابَة وسرعة التحصيل العلمي فشجَّعه على التدريس وهو ما زال طالبًا في حلقة، فبدأ التدريس عام ١٣٧٠هـ في الجامع الكبير بعنيزة.

ولما تخرَّج من المعهد العلمي في الرياض عُيِّن مدرِّسًا في المعهد العلمي بعنيزة عام ١٣٧٤هـ.

وفي سنة ١٣٧٦هـ توفي شيخه العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي - رحمه الله تعالى - فتولَّى بعده إمامة الجامع الكبير في عنيزة، وإمامة العيدين فيها، والتدريس في مكتبة عنيزة الوطنية التابعة للجامع؛ وهي التي أسسها شيخه - رحمه الله - عام ١٣٥٩هـ.

ولما كثر الطلبة، وصارت المكتبة لا تكفيهم؛ بدأ فضيلة الشيخ - رحمه الله - يدرِّس في المسجد الجامع نفسه، واجتمع إليه الطلاب وتوافدوا من المملكة وغيرها حتى كانوا يبلغون المئات في بعض الدروس، وهؤلاء يدرسون دراسة تحصيل جاد، لا مجرد الاستماع، وبقي على ذلك، إمامًا وخطيبًا ومدرِّسًا، حتى وفاته - رحمه الله تعالى -.

بقي الشيخ مدرِّسًا في المعهد العلمي من عام ١٣٧٤هـ إلى عام ١٣٩٨هـ عندما انتقل إلى التدريس في كلية الشريعة وأصول الدين بالقصيم التابعة لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، وظل أستاذًا فيها حتى وفاته - رحمه الله تعالى -.

وكان يدرِّس في المسجد الحرام والمسجد النبوي في مواسم الحج ورمضان والإجازات الصيفية منذ عام ١٤٠٢هـ ، حتى وفاته - رحمه الله تعالى -.

وللشيخ - رحمه الله - أسلوب تعليمي فريد في جودته ونجاحه، فهو يناقش طلابه ويتقبل أسئلتهم، ويُلقِي الدروس والمحاضرات بهمة عالية ونفس مطمئنة واثقة، مبتهجًا بنشره للعلم وتقريبه إلى الناس.

## آثاره العلمية:

ظهرت جهوده العظيمة - رحمه الله تعالى - خلال أكثر من خمسين عامًا من العطاء والبذل في نشر العلم والتدريس والوعظ والإرشاد والتوجيه وإلقاء المحاضرات والدعوة إلى الله - سبحانه وتعالى - .

ولقد اهتم بالتأليف وتحرير الفتاوى والأجوبة التي تميّزت بالتأصيل العلمي الرصين، وصدرت له العشرات من الكتب والرسائل والمحاضرات والفتاوى والخطب واللقاءات والمقالات، كما صدر له آلاف الساعات الصوتية التي سجلت محاضراته وخطبه ولقاءاته وبرامجه الإذاعية ودروسه العلمية في تفسير القرآن الكريم والشروحات المتميزة للحديث الشريف والسيرة النبوية والمتون والمنظومات في العلوم الشرعية والنحوية.

وإنفاذاً للقواعد والضوابط والتوجيهات التي قررها فضيلته - رحمه الله تعالى - لنشر مؤلفاته، ورسائله، ودروسه، ومحاضراته، وخطبه، وفتاواه ولقاءاته، تقوم مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية - بعون الله وتوفيقه - بواجب وشرف المسؤولية لإخراج كافة آثاره العلمية والعناية بها .

وبناءً على توجيهاته - رحمه الله تعالى - أنشئ له موقع خاص على شبكة المعلومات الدولية ، من أجل تعميم الفائدة المرجوة - بعون الله تعالى - وتقديم جميع آثاره العلمية من المؤلفات والتسجيلات الصوتية.

## مكانته العلمية:

يُعدُّ فضيلة الشيخ - رحمه الله تعالى - من الراسخين في العلم الذين وهبهم الله - بمَنِّه وكرمه - تأصيلاً وملكة عظيمة في معرفة الدليل واتباعه واستنباط الأحكام والفوائد من الكتاب والسنة، وسبر أغوار اللغة العربية معاني وإعراباً وبلاغة.

ولما تحلّى به من صفات العلماء الجليّة وأخلاقهم الحميدة والجمع بين العلم والعمل أحبّه الناس محبة عظيمة، وقدّره الجميع كل التقدير، ورزقه الله القبول لديهم واطمأنوا لاختياراته الفقهية، وأقبلوا على دروسه وفتاواه وآثاره العلمية، ينهلون من معين علمه ويستفيدون من نصحه ومواعظه.

وقد مُنح جائزة الملك فيصل - رحمه الله - العالمية لخدمة الإسلام عام ١٤١٤هـ، وجاء في الحشيات التي أبدتها لجنة الاختيار لمنحه الجائزة ما يلي:

أولاً: تحلّيه بأخلاق العلماء الفاضلة التي من أبرزها الورع، ورحابة الصدر، وقول الحق، والعمل لمصلحة المسلمين، والنصح لخاصتهم وعامتهم.

ثانياً: انتفاع الكثيرين بعلمه؛ تدريساً وإفتاءً وتأليفاً.

ثالثاً: إلقاءه المحاضرات العامة النافعة في مختلف مناطق المملكة.

رابعاً: مشاركته المفيدة في مؤتمرات إسلامية كثيرة.

خامساً: اتباعه أسلوباً متميزاً في الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، وتقديمه مثلاً حياً لمنهج السلف الصالح؛ فكراً وسلوكاً.

**عقبه:**

له خمسة من البنين، وثلاث من البنات، وبنوه هم: عبد الله، وعبد الرحمن، وإبراهيم، وعبد العزيز، وعبد الرحيم.

**وفاته:**

تُوفي - رحمه الله - في مدينة جدة قبيل مغرب يوم الأربعاء الخامس عشر من شهر شوال عام ١٤٢١هـ، وصُلّي عليه في المسجد الحرام بعد صلاة عصر يوم الخميس، ثم شيعته تلك الآلاف من المصلّين والحشود العظيمة في مشاهد مؤثرة، ودفن في مكة المكرمة.



وبعد صلاة الجمعة من اليوم التالي صَلَّى عليه صلاة الغائب في جميع مدن المملكة العربية  
السعودية.

رحم الله شيخنا رحمة الأبرار، وأسكنه فسيح جناته، وَمَنْ عَلَيْهِ بِمَغْفَرَتِهِ وَرِضْوَانِهِ، وَجَزَاهُ عَمَّا  
قَدَّمْ لِلْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ خَيْرًا. <sup>(١)</sup>

---

<sup>(١)</sup>: الترجمة من إعداد اللجنة العلمية في مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية .

## القصيدة الميمية<sup>(١)</sup>

إِذَا طَلَعَتْ شَمْسُ النَّهَارِ فَإِنَّهَا \*\*\* أَمَارَةٌ تَسْلِمِي عَلَيْكُمْ فَسَلُّوْا  
سَلَامٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فِي كُلِّ سَاعَةٍ \*\*\* وَرَوْحٌ وَرِيحَانٌ وَفَضْلٌ وَأُنْعَمُ  
عَلَى الصَّحْبِ وَالْإِخْوَانِ وَالْوَلَدِ وَالْأَلَى \*\*\* رَعَوْهُمْ بِإِحْسَانٍ فَجَادُوا وَأَنْعَمُوا  
وَسَائِرِ مَنْ لِلسُّنَّةِ الْمُخْضَةِ اقْتَفَى \*\*\* وَمَا زَاغَ عَنْهَا فَهُوَ حَقًّا مُقَدَّمُ  
أُولَئِكَ أَتْبَاعُ النَّبِيِّ وَحِزْبُهُ \*\*\* وَلَوْلَاهُمْ مَا كَانَ فِي الْأَرْضِ مُسْلِمُ  
وَلَوْلَاهُمْ كَادَتْ تَمِيدُ بِأَهْلِهَا \*\*\* وَلَكِنْ رَوَّاسِيهَا وَأَوْتَادُهَا هُمْ  
وَلَوْلَاهُمْ كَانَتْ ظِلَامًا بِأَهْلِهَا \*\*\* وَلَكِنْ هُمْ فِيهَا بُدُورٌ وَأُنْجُمُ  
أُولَئِكَ أَصْحَابِي فَحَيَّ هَلَّا بِهِمْ \*\*\* وَحَيَّ هَلَّا بِالطَّيِّبِينَ وَأُنْعَمُ  
لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ سَلَامٌ يَخْصُهُ \*\*\* يُبْلَغُهُ الْأَدْنَى إِلَيْهِ وَيَنْعَمُ  
فِيَا مُحْسِنًا بَلِّغْ سَلَامِي وَقُلْ لَهُمْ \*\*\* حُبُّكُمْ يَدْعُو لَكُمْ وَيُسَلِّمُ  
وَيَا لِنَبِيِّ فِي حُبِّهِمْ وَلَوْلَاهُمْ \*\*\* تَأَمَّلْ هَذَاكَ اللَّهُ مَنْ هُوَ أَلْوَمُ  
بَأَيِّ دَلِيلٍ أَمْ بِأَيِّ حُجَّةٍ \*\*\* تَرَى حُبَّهُمْ عَارًا عَلَيَّ وَتَنْقُمُ  
وَمَا الْعَارُ إِلَّا بُغْضُهُمْ وَاجْتِنَابُهُمْ \*\*\* وَحُبُّ عِدَائِهِمْ ذَاكَ عَارٌ وَمَأْتَمُ  
أَمَّا وَالَّذِي شَقَّ الْقُلُوبَ وَأَوْدَعَ أَلْ \*\*\* مَحَبَّةً فِيهَا حَيْثُ لَا تَصْرَمُ  
وَحَمَلَهَا قَلْبَ الْمُحِبِّ وَإِنَّهُ \*\*\* لِيَضْعَفُ عَنْ حَمْلِ الْقَمِيصِ وَيَأْلُمُ  
وَذَلَّلَهَا حَتَّى اسْتَكَانَتْ لِصَوْلَةٍ أَلْ \*\*\* مَحَبَّةً لَا تَلْـوِي وَلَا تَلْعَمُ

(١): الميمية ليست اسمها وإنما سميت بذلك لانتهاأ أبياتها بحرف الميم :كذلك القصيدة النونية والتي أسمها "الكافية الشافية في الانتصار

للفرقة الناجية . " والله أعلم .

وَذَلَّ فِيهَا أَنْفُسًا دُونَ ذَٰلِهَا \*\*\* حِيَاضُ الْمَنَآيَا فَوْقَهَا وَهِيَ حَوْمٌ  
لَأَنْتُمْ عَلَى قُرْبِ الدِّيَارِ وَبُعْدِهَا \*\*\* أَحَبُّنَا إِنْ غَبْتُمْ أَوْ حَضَرْتُمْ  
سَلُّوا نَسَمَاتِ الرِّيحِ كَمْ قَدْ تَحَمَّلْتُ \*\*\* مَحَبَّةَ صَبٍّ شَوْقَهُ لَيْسَ يُكَمُّ  
وَشَاهِدُ هَذَا أَنَّهَا فِي هُبُوبِهَا \*\*\* تَكَادُ تُبَثُّ الْوَجْدَ لَوْ تَكَلَّمُ  
وَكُنْتُ إِذَا مَا اشْتَدَّ بِي الشَّوْقُ وَالْجَوَى \*\*\* وَكَادَتْ عُرَى الصَّبْرِ الْجَمِيلِ تَقْصَمُ  
أَعْلَى نَفْسِي بِالتَّلَاقِي وَقُرْبِهِ \*\*\* وَأَوْهَمُهَا لَكِنَّهَا تَوَهَّمُ  
وَأَتَّبِعْ طَرْفِي وَجْهَةً أَنْتُمْ بِهَا \*\*\* فَلِي بِجَمَاهَا مَرِيعٌ وَمُخَيَّمُ  
وَأَذْكُرُ بَيْتًا قَالَهُ بَعْضُ مَنْ خَلَا \*\*\* وَقَدْ ضَلَّ عَنْهُ صَبْرُهُ فَهُوَ مُغْرَمُ  
أَسْأَلُ عَنْكُمْ كُلَّ غَادٍ وَرَاحٍ \*\*\* وَأُؤْمِي إِلَى أَوْطَانِكُمْ وَأَسْلَمُ  
وَكَمْ يَصْبِرُ الْمُشْتَاقُ عَمَّنْ يُحِبُّهُ \*\*\* وَفِي قَلْبِهِ نَارُ الْأَسَى تَضَرَّمُ  
أَمَّا وَالَّذِي حَجَّ الْمُحِبُّونَ بَيْتَهُ \*\*\* وَلَبَّوْا لَهُ عِنْدَ الْمَهْلِ وَأَحْرَمُوا  
وَقَدْ كَشَفُوا تِلْكَ الرُّؤُوسَ تَوَاضَعًا \*\*\* لِعِزَّةٍ مَنْ تَعْنُو الْوُجُوهُ وَتُسَلِّمُ  
يُهْلُونَ بِالْبَيْدَاءِ لَبِيكَ رَبَّنَا \*\*\* لَكَ الْمُلْكُ وَالْحَمْدُ الَّذِي أَنْتَ تَعْلَمُ  
دَعَاهُمْ فَلَبَّوْهُ رِضَى وَمَحَبَّةً \*\*\* فَلَمَّا دَعَاكَ كَانَ أَقْرَبَ مِنْهُمْ  
تَرَاهُمْ عَلَى الْأَنْضَاءِ شُعْنًا رُؤُوسُهُمْ \*\*\* وَغُبْرًا وَهُمْ فِيهَا أَسْرٌ وَأَنْعَمُ  
وَقَدْ فَارَقُوا الْأَوْطَانَ وَالْأَهْلَ رَغْبَةً \*\*\* وَلَمْ يُثْنِ لَهُمْ لَذَائُهُمْ وَالتَّعَمُّ  
يَسِيرُونَ مِنْ أَقْطَارِهَا وَفَجَاجِهَا \*\*\* رَجَالًا وَرُكْبَانًا وَلِلَّهِ أَسْلَمُوا  
وَلَمَّا رَأَتْ أَبْصَارُهُمْ بَيْتَهُ الَّذِي \*\*\* قُلُوبُ الْوَرَى شَوْقًا إِلَيْهِ تَضَرَّمُ  
كَانَهُمْ لَمْ يَنْصَبُوا قَطُّ قَبْلَهُ \*\*\* لِأَنَّ شَقَاهُمْ قَدْ تَرَحَّلَ عَنْهُمْ  
فَلِلَّهِ كَمْ مِنْ عِبْرَةٍ مُهْرَاقَةٍ \*\*\* وَأُخْرَى عَلَى آثَارِهَا لَا تَقْدَمُ

وَقَدْ شَرِقَتْ عَيْنُ الْمُحِبِّ بِدَمْعِهَا \*\*\* فَيَنْظُرُ مِنْ بَيْنِ الدُّمُوعِ وَيُسْجَمُ  
إِذَا عَايَنَتْهُ الْعَيْنُ زَالَ ظِلَامُهَا \*\*\* وَزَالَ عَنِ الْقَلْبِ الْكَيْبُ الْتَالِمُ  
وَلَا يَعْرِفُ الطَّرْفُ الْمُعَايِنُ حُسْنَهُ \*\*\* إِلَى أَنْ يَعُودَ الطَّرْفُ وَالشَّوْقُ أَعْظَمُ  
وَلَا عَجَبٌ مِنْ ذَا فَحِينٍ أَضَافَهُ \*\*\* إِلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَ انْ ؛ فَهُوَ الْمُعْظَمُ  
كَسَاهُ مِنَ الْإِجْلَالِ أَعْظَمَ حُلَّةٍ \*\*\* عَلَيْهَا طِرَازٌ بِالْمُلَاحَظَةِ مُعَلَّمُ  
فَمِنْ أَجْلِ ذَا كُلِّ الْقُلُوبِ تَحِبُّهُ \*\*\* وَتَخْضَعُ إِنْجِلَالًا لَهُ وَتُعْظَمُ  
وَرَاخُوا إِلَى التَّعْرِيفِ يَرْجُونَ رَحْمَةً \*\*\* وَمَغْفِرَةً مِمَّنْ يَجُودُ وَيُكْرِمُ  
فَلِلَّهِ ذَاكَ الْمَوْقِفُ الْأَعْظَمُ الَّذِي \*\*\* كَمَوْقِفِ يَوْمِ الْعَرْضِ بَلْ ذَاكَ أَعْظَمُ  
وَيَدْنُو بِهِ الْجَبَّارُ جَلَّ جَلَالُهُ \*\*\* يُبَاهِي بِهِمْ أَمْلَاكَهُ فَهُوَ أَكْرَمُ  
يَقُولُ عِبَادِي قَدْ أَتَوْنِي مَحَبَّةً \*\*\* وَإِنِّي بِهِمْ بَرٌّ أَجُودُ وَأَرْحَمُ  
فَأَشْهَدُكُمْ أَنِّي غَفَرْتُ ذُنُوبَهُمْ \*\*\* وَأَعْطَيْتُهُمْ مَا أَمْلَوْهُ وَأَنْعَمُ  
فَبَشِّرَاكُمْ يَا أَهْلَ ذَا الْمَوْقِفِ الَّذِي \*\*\* بِهِ يَغْفِرُ اللَّهُ الْذُنُوبَ وَيَرْحَمُ  
فَكُمْ مِنْ عَتِيقٍ فِيهِ كَمَلٌ عِتْقُهُ \*\*\* وَأَخْرَجَ يُسْتَسْعَى وَرَبُّكَ أَرْحَمُ  
وَمَا رُؤْيَى الشَّيْطَانِ أَغْيَظَ فِي الْوَرَى \*\*\* وَأُحْقَرُ مِنْهُ عِنْدَهُمَا وَهُوَ أَلَمُّ  
وَذَاكَ لِأَمْرِ قَدْ رَآهُ فَغَاظَهُ \*\*\* فَأَقْبَلَ يَخْشُو التُّرْبَ غَيْظًا وَيَلْطَمُ  
لَمَّا عَايَنَتْ عَيْنَاهُ مِنْ رَحْمَةٍ أَتَتْ \*\*\* وَمَغْفِرَةٍ مِنْ عِنْدِ ذِي الْعَرْشِ تُقَسِّمُ  
بَنَى مَا بَنَى حَتَّى إِذَا ظَنَّ أَنَّهُ \*\*\* تَمَكَّنَ مِنْ بُنْيَانِهِ فَهَوَّ مُحْكَمُ  
أَتَى اللَّهُ بُنْيَانًا لَهُ مِنْ أُسَاسِهِ \*\*\* فَخَرَّ عَلَيْهِ سَاقِطًا يَتَهَدَّمُ  
وَكَمْ قَدَرُ مَا يَعْلُو الْبِنَاءُ وَيَنْتَهِي \*\*\* إِذَا كَانَ يَبْنِيهِ وَذُو الْعَرْشِ يَهْدِمُ  
وَرَاخُوا إِلَى جَمْعِ فَبَاتُوا بِمَشْعَرِ الْ \*\*\* حَرَامِ وَصَلُّوا الْفَجْرَ ثُمَّ تَقَدَّمُوا

إِلَى الْجَمْرَةِ الْكُبْرَى يُرِيدُونَ رَمِيهَا \*\*\* لَوْ قَتَصَ الْعِيدَ ثُمَّ تَيَمَّمُوا  
مَنَازِلَهُمْ لِلنَّحْرِ يَبْغُونَ فَضْلَهُ \*\*\* وَإِحْيَاءَ نُسُكِ مِنْ أَبِيهِمْ يُعْظَمُ  
فَلَوْ كَانَ يُرْضِي اللَّهَ نَحَرُ نَفْسِهِمْ \*\*\* لَدَانُوا بِهِ طُغْيَانًا وَلِلْأَمْرِ سَلَامًا  
كَمَا بَدَلُوا عِنْدَ الْجِهَادِ نُحُورَهُمْ \*\*\* لِأَعْدَائِهِ حَتَّى جَرَى مِنْهُمْ الدَّمُ  
وَلَكِنَّهُمْ دَانُوا بِوَضْعِ رُؤُوسِهِمْ \*\*\* وَذَلِكَ ذُلٌّ لِلْعَبِيدِ وَمَيْسَمٌ  
وَلَمَّا تَقَضُّوا ذَلِكَ التَّفَثَ الَّذِي \*\*\* عَلَيْهِمْ وَأَوْفُوا نَذْرَهُمْ ثُمَّ تَمَّوْا  
دَعَاهُمْ إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ زِيَارَةً \*\*\* فَيَا مَرْحَبًا بِالزَّائِرِينَ وَأَكْرَمُ  
فَلِلَّهِ مَا أَهَى زِيَارَتُهُمْ لَهُ \*\*\* وَقَدْ حُصِّلَتْ تِلْكَ الْجَوَازِرُ تُقَسَّمُ  
وَلِلَّهِ إِفْضَالٌ هُنَاكَ وَثِمَّةٌ \*\*\* وَبِرٌّ وَإِحْسَانٌ وَجُودٌ وَمَرْحَمٌ  
وَعَادُوا إِلَى تِلْكَ الْمَنَازِلِ مِنْ مَنَى \*\*\* وَنَالُوا مِنْهَا عِنْدَهَا وَتَنَعَّمُوا  
أَقَامُوا بِهَا يَوْمًا وَيَوْمًا وَثَلَاثًا \*\*\* وَأُذِنَ فِيهِمْ بِالرَّحِيلِ وَأُعْلِمُوا  
وَرَاخُوا إِلَى رَمِي الْجَمَارِ عَشِيَّةً \*\*\* شَعَارَهُمُ التَّكْيِيرُ وَاللَّهُ مَعَهُمْ  
فَلَوْ أَبْصَرْتَ عَيْنَاكَ مَوْقِفَهُمْ بِهَا \*\*\* وَقَدْ بَسَطُوا تِلْكَ الْأَكْفَافَ لِيُرْحَمُوا  
يَنَادُونَهُ يَا رَبِّ يَا رَبِّ إِنَّا \*\*\* عِبِيدُكَ لَا نَدْعُو سِوَاكَ وَتَعْلَمُ  
وَهَا نَحْنُ نَرْجُو مِنْكَ مَا أَنْتَ أَهْلُهُ \*\*\* فَأَنْتَ الَّذِي تُعْطِي الْجَزِيلَ وَتُنْعِمُ  
وَلَمَّا تَقَضُّوا مِنْ مَنَى كُلَّ حَاجَةٍ \*\*\* وَسَالَتْ بِهِمْ تِلْكَ الْبَطَاحُ تَقَدَّمُوا  
إِلَى الْكَعْبَةِ الْبَيْتِ الْحَرَامِ عَشِيَّةً \*\*\* فَطَافُوا بِهَا سَبْعًا وَصَلُّوا وَسَلَّمُوا  
وَلَمَّا دَنَا التَّوْدِيعُ مِنْهُمْ وَأَيُّتُوا \*\*\* بِأَنَّ التَّدَانِيَّ حَبْلُهُ مُتَصَرِّمٌ  
وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا وَقْفَةٌ لِمُودَعٍ \*\*\* فَلِلَّهِ أَجْفَانٌ هُنَاكَ تُسَجَّمُ  
وَلِلَّهِ أَكْبَادٌ هُنَاكَ أُوْدَعٍ \*\*\* غَرَامٌ بِهَا فَالْتَنَارُ فِيهَا تَضَرَّمُ

ولله أنفاسٌ يكادُ بِحَرِّهَا \*\*\* يذوبُ المُحِبُّ المُسْتَهَامُ المُتِّمُّ  
فلم ترَ إلا باهتًا مُتَحِيرًا \*\*\* وآخِرَ يُبْدِي شَجْوَهُ يَتَرَنَّمُ  
رَحَلْتُ وَأَشْوَاقِي إِلَيْكُمْ مُقِيمَةٌ \*\*\* ونازُ الأَسَى مِنِّي تَسْبُ وتَضُرُّ  
أودِعَكُمْ والشوقُ يَنِينِي أَعْنِي \*\*\* وقلبي أَمْسَى فِي حِمَاكُمْ مُخَيَّمُ  
هنالك لا تَتَرَبَّ يومًا عَلَى امرئٍ \*\*\* إذا ما بَدَا مِنْهُ الذي كَانَ يَكُنُّ  
فيا سائِقَيْنِ العِيسَ باللهِ رَبِّكُمْ \*\*\* قِفُوا لِي عَلَى تِلْكَ الرُّبُوعِ وَسَلِّمُوا  
وقولوا مُحِبُّ قَادَهُ الشوقُ نَحْوَكُمْ \*\*\* قَضَى نَجْبَهُ فَيْكُمْ تَعِيشُوا وَسَلِّمُوا  
قَضَى اللهُ رَبُّ العَرْشِ فِيمَا قَضَى بِهِ \*\*\* بَأَنَّ الهَوَى يُعْبِي القُلُوبَ وَيُيَكِّمُ  
وَحُبُّكُمْ أَصْلُ الهَوَى وَمَدَارُهُ \*\*\* عَلَيْهِ وَفَوْزٌ لِلْمُحِبِّ وَمَغْنَمُ  
وَتَقْنَى عِظَامِ الصَّبِّ بَعْدَ مَمَاتِهِ \*\*\* وَأَشْوَاقُهُ وَقْفٌ عَلَيْهِ مُحَرَّمُ  
فيا أَيُّهَا القلبُ الذي مَلَكَ الهَوَى \*\*\* أَرَمْتَهُ حَتَّى مَاتَ ذَا التَّلَوُّمُ  
وَحَتَّى مَلَا تَصْحُوْهُ وَقَدْ قَرَّبَ المَدَى \*\*\* وَدُنْتُ كُـؤُوسُ السَّيْرِ وَالنَّاسُ نَوْمُ  
بلى سوفَ تَصْحُو حِينَ يَنكشِفُ الغَطَاءُ \*\*\* وَيَبْدُو لَكَ الأَمْرُ الـ الذي أَنْتَ تَكُنُّ  
ويا مُوقِدًا نَارًا لِفَيْرِكَ ضَوْؤُهَا \*\*\* وَحُرٌّ لظَاهِهَا بَيْنَ جُنَيْبِكَ يُضْرَمُ  
أهذا جَنَى العِلْمِ الذي قَدْ غَرَسَتْهُ \*\*\* وَهذا الـ الذي قَدْ كُنْتَ تَرْجُوهُ يُطْعَمُ  
وهذا هُوَ الحِظُّ الذي قَدْ رَضِيَتْهُ \*\*\* لِنَفْسِكَ فِي الدَّارَيْنِ جَاءَ وَدَرَهُمُ !!  
وهذا هُوَ الرِّيحُ الذي قَدْ كَسَبَتْهُ \*\*\* لَعَمْرُكَ لَا رِيحٌ وَلَا الأَصْلُ يَسْلَمُ  
بَحَلَّتْ بِشْيٍ لَا يَضُرُّكَ بِذَلِّهِ \*\*\* وَجُدْتَ بِشْيٍ مِثْلُهُ لَا يَقُومُ  
بَحَلَّتْ بِذَا الحِظِّ الحَسِيسِ دَنَاءَةً \*\*\* وَجُدْتَ بِدَارِ الخُلْدِ لَوْ كُنْتَ تَفْهَمُ  
وَبُعْتَ نَعِيمًا لَا اقْتِضَاءَ لَهُ وَلَا \*\*\* فَظَيْرَ بِنَحْسٍ عَنْ قَلِيلٍ سَيُعَدَّمُ

فَهَلَا عَكَسْتَ الْأَمْرَ إِنْ كُتَّ حَازِمًا \*\*\* وَلَكِنْ أَضَعْتَ الزَّمَ لَوْ كُتَّ تَعْلَمُ  
وَتَهْدِمُ مَا تَبْنِي بِكَفِّكَ جَاهِدًا \*\*\* فَأَنْتَ مَدَى الْأَيَّامِ تَبْنِي وَتَهْدِمُ  
وَعِنْدَ مُرَادِ اللَّهِ تَفْنَى كَمَيِّتٍ \*\*\* وَعِنْدَ مُرَادِ النَّفْسِ تُسْدِي وَتُلْحِمُ  
وَعِنْدَ خِلَافِ الْأَمْرِ تَحْتَاجُ بِالْقَضَاءِ \*\*\* ظَهِيرًا عَلَى الرَّحْمَنِ لِلْجَبْرِ تَرْعُمُ  
تَنْزَهُ مِنْكَ النَّفْسُ عَنْ سُوءِ فِعْلِهَا \*\*\* وَتَعْتَبُ أَقْدَارَ الْأَلْهِ وَتَظْلَمُ  
تَحُلُّ أُمُورًا أَحْكَمَ الشَّرْعُ عَقْدَهَا \*\*\* وَتَقْصِدُ مَا قَدْ حَلَّ الشَّرْعُ ثُبْرُ  
وَتَنْهَمُ مِنْ قَوْلِ الرَّسُولِ خِلَافَ مَا \*\*\* أَرَادَ لِأَنَّ الْقُلُوبَ مِنْكَ مُعْجَمُ  
مُطِيعٌ لِدَاعِيِ الْغَيِّ عَاصٍ لِرُشْدِهِ \*\*\* إِلَى رَبِّهِ يَوْمًا يُرَدُّ وَيُعْلَمُ  
مُضِيعٌ لِأَمْرِ اللَّهِ قَدْ غَشَّى نَفْسَهُ \*\*\* مُهَيَّنٌ لَهَا أَنَّى يُحِبُّ وَيُكْرَمُ  
بَطِيءٌ عَنِ الطَّاعَاتِ أَسْرَعُ لِلْخَنَى \*\*\* مِنْ السَّيْلِ فِي مَجْرَاهُ لَا يَتَقَسَّمُ  
وَتَرْعُمُ مَعَ هَذَا بِأَنَّكَ عَارِفٌ \*\*\* كَذَبْتَ يَقِينًا بِالَّذِي أَنْتَ تَرْعُمُ  
وَمَا أَنْتَ إِلَّا جَاهِلٌ ثُمَّ ظَالِمٌ \*\*\* وَأَنْتَ بَيْنَ الْجَاهِلِينَ مُقَدَّمُ  
إِذَا كَانَ هَذَا نَصْحُ عَبْدٍ لِنَفْسِهِ \*\*\* فَتَنْ ذَا الَّذِي مِنْهُ الْهُدَى يُعْلَمُ  
وَفِي مِثْلِ هَذَا الْحَالِ قَدْ قَالَ مَنْ مَضَى \*\*\* وَأَحْسَنَ فِيمَا قَالَهُ الْمَكَلَّمُ  
فَإِنْ كُنْتَ لَا تَدْرِي فَتِلْكَ مُصِيبَةٌ \*\*\* وَإِنْ كُنْتَ تَدْرِي فَالْمُصِيبَةُ أَعْظَمُ  
وَلَوْ تُبْصِرُ الدُّنْيَا وَرَاءَ سُتُورِهَا \*\*\* رَأَيْتَ خِيَالًا فِي مَنْامٍ سَيَّضَرُّ  
كَحُلْمٍ بَطِيفٍ زَارٍ فِي النَّوْمِ وَاتَّقَضَى الْإِلَ \*\*\* حَنَامُ وَرَاحِ الطِّيفِ وَالصَّبُّ مُغْرَمُ  
وَضَلَّ أَرْتَهُ الشَّمْسُ عِنْدَ طُلُوعِهَا \*\*\* سَيَقْلُصُ فِي وَقْتِ الزَّوَالِ وَيَفْصِمُ  
وَمُزْنَةٌ صَيْفٍ طَابَ مِنْهَا مَقِيلُهَا \*\*\* فَوَلَّتْ سَرِيعًا وَالْحُرُورُ تَضَرَّمُ  
وَمَطْعَمٌ ضَيْفٍ لَذٍّ مِنْهُ مَسَاغُهُ \*\*\* وَبَعْدَ قَلِيلٍ حَالُهُ تِلْكَ تُعْلَمُ

كَذَا هَذِهِ الدُّنْيَا كَأَحْلَامٍ نَائِمٍ \*\*\* وَمَنْ بَعْدَهَا دَارُ الْبَقَاءِ سَتَقْدَمُ  
فَجَزُهَا مَمَرٌ لَا مَقَرَّ وَكُنْ بِهَا \*\*\* غَرِيبًا تَعِشُ فِيهَا حَمِيدًا وَتَسَلِّمُ  
أَوْ ابْنَ سَبِيلٍ قَالَ فِي ظِلِّ دَوْحَةٍ \*\*\* وَرَاحَ وَخَلَى ظِلَّهُمَا يَتَقَسَّمُ  
أَخَا سَفَرٍ لَا يَسْتَقِرُّ قَرَارُهُ \*\*\* إِلَى أَنْ يَرَى أَوْطَانَهُ وَيُسَلِّمُ  
فِيَا عَجَبًا ! كَمْ مَضْرَعٍ وَعَظَتْ بِهِ \*\*\* بَيْنَهَا وَلَكِنْ عَنْ مَصَارِعِهَا عُمُو  
سَقَتُهُمْ كُؤُوسَ الْحُبِّ حَتَّى إِذَا نَشَوْا \*\*\* سَقَتُهُمْ كُؤُوسَ السُّمِّ وَالْقَوْمُ نَوْمُ  
وَأَعْجَبُ مَا فِي الْعَبْدِ رُؤْيَا هَذِهِ الـ \*\*\* عَظْمَانِ وَالْمَغْرُورُ فِيهَا مُتَيْمٌ  
وَمَا ذَاكَ إِلَّا أَنَّ خَمْرَةَ حُبِّهَا \*\*\* تَسْلُبُ عَقْلَ الْمُرِّ مِنْهُ وَتَصِلُّمُ  
وَأَعْجَبُ مِنْ ذَا أَنْ أَحْبَابَهَا الْأُلَى \*\*\* تُهَيِّنُ وَلِلْأَعْدَاءِ تُرَاعِي وَتُكْرِمُ  
وَذَلِكَ بُرْهَانٌ عَلَى أَنَّ قَدْرَهَا \*\*\* جَنَاحٌ بَعُوضٍ أَوْ أَدَقُّ وَ الْأُمُّ  
وَحَسْبُكَ مَا قَالَ الرَّسُولُ مُثَلًّا \*\*\* لَهَا وَلِـ دَارِ الْخُلْدِ وَالْحَقُّ يُفْهَمُ  
كَمَا يُدْلِي الْإِنْسَانُ فِي الْيَمِّ أَصْبَعًا \*\*\* وَيَنْزِعُهَا مِنْهُ فَمَا ذَاكَ يَغْنَمُ  
أَلَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَبَيَّنَّ لَيْلَةً \*\*\* عَلَى حَذَرٍ مِنْهَا وَأُمْرِي مُبْرَمٌ  
وَهَلْ أَرَدَنْ مَاءَ الْحَيَاةِ وَأُرْتَوِي \*\*\* عَلَى ظِلِّ مِنْ حَوْضِهِ وَهُوَ مُقْعَمٌ  
وَهَلْ تُبْدُونَ أَعْلَامُهَا بَعْدَمَا سَفَتْ \*\*\* عَلَى رُبْعِهَا تِلْكَ السَّـ وَافِي فَتَعْلَمُ  
وَهَلْ أَفْرِشُنْ خَدْيِي ثَرَى عَتَبَاتِهِمْ \*\*\* خُضُوعًا لَهُمْ كَيْمَا يَرِقُوا وَيَرْحَمُوا  
وَهَلْ أَرْمِينَ نَفْسِي طَرِيحًا بِبَابِهِمْ \*\*\* وَطَيْرُ مَنَائِيَا الْحُبِّ فَوْقِي تُحَوِّمُ  
فِيَا أَسْفِي تَفَنَّى الْحَيَاءُ وَتَقْضِي \*\*\* وَذَا الْعَبُّ بِبَاقٍ مَا بَقِيَتْ وَعِشْتُمْ  
فَمَا مِنْكُمْ بُدٌّ وَلَا عَنْكُمْ غِنَى \*\*\* وَمَالِي مِنْ صَبْرٍ فَاسْلُـ عَنْكُمْ  
وَمَنْ شَاءَ فَلْيَغْضَبْ سِوَاكُمْ فَلَا إِذَا \*\*\* إِذَا كُتِمَ عَنْ عَبْدِكُمْ قَدْ رَضِيتُمْ



وَعُقِبِي اصْطِبَارِي فِي هَوَاكُمُ حَمِيدَةٌ \*\*\* وَلَكِنَّهَا عَنْكُمُ عِقَابٌ وَمَأْتُمْ  
وَمَا أَنَا بِالشَّاكِي لَمَّا تَرْتَضُونَهُ \*\*\* وَلَكِنِّي أَرْضَى بِهِ وَ أُسَلِّمُ  
وَحَسْبِي اتِّسَابِي مِنْ بُعِيدِ إِلَيْكُمُ \*\*\* أَلَا إِنَّهُ حَظٌّ عَظِيمٌ مُفْخَمٌ  
إِذَا قِيلَ هَذَا عَبْدُهُمْ وَمُحِبُّهُمْ \*\*\* تَهَلَّلَ بِشَرًّا وَجْهُهُ يَتَسَمُّ  
وَهَا هُوَ قَدْ أَبْدَى الضَّرَاعَةَ سَائِلًا \*\*\* لَكُمْ بِلسَانِ الْحَالِ وَالْقَالَ مُعْلِمٌ  
أَحِبَّتُهُ عَطْفًا عَلَيْهِ فَإِنَّهُ \*\*\* لَفِي ظِلْمٍ وَالْمُورِدُ الْعَذْبُ أَتَمُّ  
فِيَا سَاهِيَا فِي غَمْرَةِ الْجَهْلِ وَالْهَوَى \*\*\* صَرِيحَ الْأَمَانِي عَنْ قَرِيبٍ سَتَدُمُ  
أَفْقٌ قَدْ دَنَا الْوَقْتُ الَّذِي لَيْسَ بَعْدَهُ \*\*\* سِوَى جَنَّةٍ أَوْ حَرٍّ نَارٍ تَضْرَمُ  
وَبِالسُّنَّةِ الْغَرَاءِ كُنْ مُتَمَسِّكًا \*\*\* هِيَ الْعُرْوَةُ الْوُثْقَى الَّتِي لَيْسَ تَقْصُمُ  
تَمَسُّكَ بِهَا مَسْكُ الْبَخِيلِ بِمَالِهِ \*\*\* وَعَضَّ عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ تَسْلُمُ  
وَدَعَّ عَنْكَ مَا قَدْ أَحْدَثَ النَّاسُ بَعْدَهَا \*\*\* فَمَرَّتْ هَاتِيكَ الْحُودَادُ أَوْخَمُ  
وَهَيَّيْ جَوَابًا عِنْدَمَا تَسْمَعُ النِّدَاءَ \*\*\* مِنْ اللَّهِ يَوْمَ الْعَرْضِ مَاذَا أَجِبْتُمُ  
بِهِ رُسُلِي لَمَّا أَتَوْكُمُ فَمَنْ يَكُنْ \*\*\* أَجَابَ سِوَاهُمْ سَوْفَ يُخْزَى وَيُنْذَمُ  
وَأَخَذَ مِنْ ثَقَى الرَّحِمِ أَنْ أَعْظَمَ جُنَّةً \*\*\* لِيَوْمٍ بِهِ تَبْدُو عَيَانًا جَهَنَّمُ  
وَيُنْصَبُ ذَاكَ الْجَسْرُ مِنْ فَوْقَ مَتْنِهَا \*\*\* فَهَـٰوٍ وَمَخْدُوشٌ وَنَاجٍ مُسَلَّمُ  
وَيَأْتِي إِلَهُ الْعَالَمِينَ لِوَعْدِهِ \*\*\* فَيَفْصِلُ مَا بَيْنَ الْعِبَادِ وَيَحْكُمُ  
وَيَأْخُذُ لِلْمَظْلُومِ رَبُّكَ حَقَّهُ \*\*\* فَيَا بُؤْسَ عَبْدٍ لِلْخَلَاقِ يَظْلَمُ  
وَيُنْشَرُ دِيوَانُ الْحِسَابِ وَتَوْضَعُ أَلْ \*\*\* حَوَازِينُ بِالْقِسْطِ الَّذِي لَيْسَ يَظْلَمُ  
فَلَا مُجْرِمٌ يَخْشَى ظِلَامَةَ ذَرَّةٍ \*\*\* وَلَا مُحْسِنٌ مِنْ أَجْرِهِ ذَاكَ يُهْضَمُ  
وَتَشْهَدُ أَعْضَاءُ الْمَسِيِّ بِمَا جَنَى \*\*\* كَذَاكَ عَلَى فِيهِ الْمُهَيَّمُ يَخِمُّ

فِيَا لَيْتَ شِعْرِي كَيْفَ حَالُكَ عِنْدَمَا \*\*\* تَطَايَرُ كُتُبُ الْعَالَمِينَ وَتُقَسَّمُ  
أَتَأْخُذُ بِالْيَمْنَى كِتَابَكَ أَمْ تَكُنْ \*\*\* بِالْآخِرَى وَرَاءَ الظَّهِيرِ مِنْكَ تُسَلِّمُ  
وَتَقْرَأُ فِيهِ كُلَّ شَيْءٍ عَمِلْتَهُ \*\*\* فَيُشْرِقُ مِنْكَ الْوَجْهُ أَوْ هُوَ يُظْلِمُ  
تَقُولُ كِتَابِي فَاقْرَؤُوهُ فَإِنَّهُ \*\*\* يُبَشِّرُ بِالْفَوْزِ الْعَظِيمِ وَيُعْلِمُ  
وَلَنْ تَكُنِ الْآخِرَى فَإِنَّكَ قَاتِلٌ \*\*\* أَلَا لِيَتَنَبَّيَ لَمْ أَوْتَهُ فَهُوَ مُغْرَمٌ  
فَبَادِرْ إِذَا مَادَامَ فِي الْعَمْرِ فُسْحَةٌ \*\*\* وَعَـذْرُكَ مَقْبُولٌ وَصَرْفُكَ قِيمٌ  
وَجِدْ وَسَارِعْ وَاعْتَمِمْ زَمَنَ الصَّبَا \*\*\* فِي زَمَنِ الْإِمَّاكِ تَسْعَى وَتَعْنَمُ  
وَسِرْ مُسْرِعًا فَالَسَّيْلُ خَلْفَكَ مُسْرِعًا \*\*\* وَهِيَـئَاتَ مَا مِنْهُ مَفَرٌّ وَمَهْرَمٌ  
فَهِنَّ الْمَنَايَا أَيَّ وَادٍ نَزَلَتْهُ \*\*\* عَلَيْهَا الْقُدُومُ أَوْ عَلَيْكَ السَّقْدُمُ  
وَمَا ذَاكَ إِلَّا غَيْرُهُ أَنْ يَنَالَهَا \*\*\* سِوَى كَهْنَتَا وَالرَّبِّ بِالْخَلْقِ أَعْلَمُ  
وَلَنْ حُجِبَتْ عَنَّا بِكُلِّ كَرِيهَةٍ \*\*\* وَخُفَّتْ بِمَا يُؤْذِي النُّفُوسَ وَيُؤْلَمُ  
فَلِلَّهِ مَا فِي حَشْوِهَا مِنْ مَسْرَةٍ \*\*\* وَأَصْنَافٍ لَذَاتٍ بِهَا تَتَعَمُّ  
وَلِلَّهِ بَرْدُ الْعَيْشِ بَيْنَ خِيَامِهَا \*\*\* وَرَوْضَاتِهَا وَالثَّغْرِ فِي الرُّوضِ يُبَسِّمُ  
فَلِلَّهِ وَادِيهَا الَّذِي هُوَ مَوْعِدُ الْـ \*\*\* حَزِيدٍ لَوْفِدِ الْحَبِّ لَوْ كُنْتَ مِنْهُمْ  
بِذِيَالِكَ الْوَادِي يَهِيْمُ صَبَابَةً \*\*\* مُحِبُّ يَرَى أَنْ الصَّبَابَةَ مَغْنَمُ  
وَلِلَّهِ أَفْرَاحُ الْحَبِيبِينَ عِنْدَمَا \*\*\* يُخَاطِبُهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيُسَلِّمُ  
وَلِلَّهِ أَبْصَارُ تَرَى اللَّهَ جَهْرَةً \*\*\* فَلَا الضُّيْمُ يَغْشَاهَا وَلَا هِيَ تَسَامُ  
فِيَا نَظْرَةً أَهْدَتْ إِلَى الْقَلْبِ نَضْرَةً \*\*\* أَمِنْ بَعْدِهَا يَسْلُو الْحَبُّ الْمَتِيمُ  
وَلِلَّهِ كَمُ مِنْ خَيْرَةٍ لَوْ تَبَسَّمَتْ \*\*\* أَضَاءَ لَهَا نُورٌ مِنَ الْفَجْرِ أَعْظَمُ  
فِيَا لَذَّةَ الْأَبْصَارِ إِنْ هِيَ أَقْبَلَتْ \*\*\* وَيَا لَذَّةَ الْأَسْمَاعِ حِينَ تَكَلَّمُ

ويا خَجَلَةَ الغُصْنِ الرطِيبِ إِذَا انْتَتْ \*\*\* ويا خَجَلَةَ البَحْرِىِّ ——— حِينَ تَبَسَّمُ  
فَإِنْ كُنْتَ ذَا قَلْبٍ عَلِيلٍ بِحُبِّهَا \*\*\* فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا وَصْلُهَا لَكَ مَرَهَمٌ  
وَلَا سَيْمًا فِي لَثَمِهَا عِنْدَ ضَمِّهَا \*\*\* وَقَدْ صَارَ مِنْهَا تَحْتَ جِيدِكَ مِعْصَمٌ  
يَرَاهَا إِذَا أَبَدَتْ لَهُ حُسْنَ وَجْهِهَا \*\*\* يَلْذُّ بِهَا قَبْلَ الْوِصَالِ وَيَنْعَمُ  
تَفَكُّهُ مِنْهَا الْعَيْنُ عِنْدَ اجْتِلَافِهَا \*\*\* فَوَاكِهِ شَتَّى طَلْعُهَا لَيْسَ يُعْدَمُ  
عِنَاقِدَ مِنْ كَرِّمٍ وَتَفَاحَ جَنَّةٍ \*\*\* وَرُمَانَ أَغْصَانٍ بِهَا الْقَلْبُ مُغْرَمٌ  
وَاللَّوْرِدَ مَا قَدْ أَلْبَسَتْهُ خُدُودُهَا \*\*\* وَلِلْخَمْرِ مَا قَدْ ضَمَّتْهُ الرِّيقُ وَالْفَمُ  
تَقَسَّمُ مِنْهَا الْحُسْنُ فِي جَمْعٍ وَاحِدٍ \*\*\* فَيَا عَجَبًا ——— مِنْ وَاحِدٍ يَتَقَسَّمُ  
تُذَكِّرُ بِالرَّحْمَةِ مَنْ هُوَ نَاطِرٌ \*\*\* بِجَمَلَتِهَا أَنَّ السُّلُوكَ مُحَرَّمٌ  
لَهَا فِرْقٌ شَتَّى مِنَ الْحُسْنِ أُجْمِعَتْ \*\*\* فَيَنْطِقُ بِالتَّسْيِيحِ لَا يَتَلَعَّمُ  
إِذَا قَابَلَتْ جَيْشَ الْهَمِيمِ بِوَجْهِهَا \*\*\* تَوَلَّى عَلَى أَعْقَابِهِ الْجَيْشُ يُهْزَمُ  
وَلَمَّا جَرَى مَاءُ الشَّبَابِ بِغُضْنِهَا \*\*\* تَيَقَّنَ حَقًّا أَنَّهُ لَيْسَ يُهْزَمُ  
فَيَا خَاطِبَ الْحُسْنَاءِ إِنْ كُنْتَ رَاغِبًا \*\*\* فَهَذَا زَمَانُ الْمَهْرِ فَهُوَ الْمَقْدَمُ  
وَكُنْ مُبْغِضًا لِلخَائِنَاتِ لِحُبِّهَا \*\*\* فَتَحْطِ بِهَا مِنْ دُونِهِنَّ وَتَنْعَمُ  
وَكُنْ أَيْمًا مِمَّا سِوَاهَا فَإِنَّهَا \*\*\* لِمِثْلِكَ فِي جَنَاحَاتِ عَدْنٍ تَأْتِي  
وَصُمُّ يَوْمِكَ الْأَذْنَى لَعَلَّكَ فِي غَدٍ \*\*\* تَفُوزُ بِعِيدِ الْفِطْرِ وَالنَّاسِ صَوْمٌ  
وَأَقْدِمُ وَلَا تَقْنَعُ بِعَيْشٍ مُنْعَصٍ \*\*\* فَمَا فَازَ بِاللَّذَاتِ مَنْ لَيْسَ يَقْدَمُ  
وَلِنْ ضَاقَتِ الدُّنْيَا عَلَيْكَ بِأَسْرِهَا \*\*\* وَلَمْ يَكُ فِيهِمَا مَنْزِلٌ لَكَ يُعْلَمُ  
فَحِيَّ عَلَى جَنَاحَاتِ عَدْنٍ فَإِنَّهَا \*\*\* مِنْ أَرْكَانِ الْأَوَّلَى وَفِيهَا الْمَخِيْمُ  
وَلَكِنَّا سَبِيُّ الْعَدُوِّ فَهَلْ تَرَى \*\*\* نَعُودُ إِلَى أَوْطَانِنَا وَنُسَلَّمُ

وقد زعموا أن الغريب إذا نأى \*\*\* وشطت به أوطأ أنه فهو مؤلم  
وأي اغتراب فوق غربتنا التي \*\*\* لها أضحت الأعداء فينا تحكّم  
وحيّ على روضاتها وخيامها \*\*\* وحيّ على عيش بها ليس يُسأم  
وحيّ على السوق الذي فيه يلتقي الـ \*\*\* مُحِبُّون ذاك السوق للقوم يُعلم  
فما شئت خذ منه بلا ثمن له \*\*\* فقد أسلف التجار فيه وأسلموا  
وحيّ على يوم المزيد الذي به \*\*\* زيارة ربّ العرش فالיום موسم  
وحيّ على وادٍ هنالك أفيح \*\*\* وتربته من أذفر المسك أعظم  
منابر من نور هناك وفضة \*\*\* ومن خالص العقيان لا تنقص  
ومن حولها كبنان مسك مقاعد \*\*\* لمن دونهم هذا العطشاء المفخم  
يرون به الرحم أن جلّ جلاله \*\*\* كـروية بدر التّم لا يؤهم  
أوالشمس صحواً ليس من دون أفقها \*\*\* سحاب ولا غيم هناك يغيم  
فبيننا هم في عيشهم وسرورهم \*\*\* وأرزاقهم تجرى عليهم وتقسم  
إذا هم بنور ساطع قد بدا لهم \*\*\* وقد رفعوا أبصارهم فإذا هم  
بربهم من فوقهم قائلاً لهم \*\*\* سلام عليكم طبتم ونعمتم  
سلام عليكم يسمعون جميعهم \*\*\* بأذانهم تسليمه إذ يُسلم  
يقول : سلوني ما اشتهيتم فكلّ ما \*\*\* تريدون عندي إنني أنا أرحم  
فقالوا جميعاً نحن نسألك الرضى \*\*\* فانت الذي تولى الجميل وترحم  
فيعطيه هذا ويشهد جمعهم \*\*\* عليه تعالى الله فالحمد أكرم  
فبالله ما عُذر امرئ هو مؤمن \*\*\* بهذا ولا يسعى له ويقدم  
ولكنما التوفيق بالله إنه \*\*\* يخص به من شاء فضلاً ويُنعم

فيا بائحًا هذا ببخسٍ مُعَجَّلٍ \*\*\* كأنك لا تدري بلى سوف تعلم  
فقدّم فدتك النفسُ نفسك إنَّها \*\*\* هي الثمنُ المَبذولُ حين تُسلم  
وخض غمراتِ الموتِ وارِقَ معارجِ الـ \*\*\* محبةً في مرضاتهم تستم  
وسلم لهم ما عاقدوك عليه إنَّ \*\*\* تردُّ منهم أن يذلُّوا ويسلموا  
فما ظفرت بالوصلِ نفسٌ مهينةٌ \*\*\* ولا فازَ عبدٌ بالبطالةِ ينعم  
وإنَّ تك قد عاقتك سعدى فقلبك الـ \*\*\* معنَى رهينٌ في يديها مسلم  
وقد ساعدت بالوصلِ غيرك فالهوى \*\*\* لها منك والواشي بها يتنعم  
فدعها وسلَّ النفسَ عنها بجنةٍ \*\*\* من العلم في روضاتها الحق يسلم  
وقد ذللت منها القُطوفُ فمن يُردُّ \*\*\* جناها ينله كيف شاءَ ويطمع  
وقد قُتحت أبوابها وتزينت \*\*\* لخطابها فالحسنُ فيها مقسم  
وقد طابَ منها نزلها ونزلها \*\*\* فطوبى لمن حلوا بها وتنعوا  
أقام على أبوابها داعي الهدى \*\*\* هلموا إلى دارِ السعادةِ تعنوا  
وقد غرسَ الرحمَ انْ فيها غراسه \*\*\* من الناسِ و الرحمَ انْ بالخلقِ أعلم  
ومن يغرسِ الرحمَ انْ فيها فإنه \*\*\* سعيدٌ وإلا فالشقاءُ محم

## شرح الأبيات

بسم الله الرحمان الرحيم

هذه الأبيات يقول فيها المؤلف رحمه الله لأحبابه إن بيني وبينكم علامة وهي طلوع الشمس وخصّ هذه العلامة؛ لأنها ابتداءُ النور والوضوح والظهور، العلامة:

إِذَا طَلَعَتْ شَمْسُ النَّهَارِ فَإِنَّهَا \*\*\* أَمَارَةٌ تَسْلِمِي عَلَيْكُمْ فَسَلِّمُوا

يعني رُدُّوا السلام؛ فإني الآن أسلم عليكم، وهذا يدل على شوقه ومحبه حيث ابتداء ذلك بأول النهار، لأن الأحاديث الطوال إنما تُبتدأ في أول النهار، كما قال ابن عباس - رضي الله عنهما - لابن جبير لما سأله عن حديث الفتون<sup>(١)</sup> قال: "استقبل النهار يا ابن جبير" يعني إنه حديث طويل؛ ثم ذكر - رحمه الله - أنه يسلم عليهم سلاماً ناشئاً عن رحمة الرب - عز وجل :-

سَلَامٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فِي كُلِّ سَاعَةٍ \*\*\* وَرُوحٌ وَرِيحَانٌ وَفَضْلٌ وَأَنْعَمٌ

المراد بالساعة: الوقت وإن قل؛ وروحٌ وريحانٌ وفضلٌ وأنعمٌ، على من؟

عَلَى الصَّحْبِ وَالْإِخْوَانِ وَالْوَلَدِ وَالْأُولَى \*\*\* رَعَوْهُمْ بِإِحْسَانٍ فَجَادُوا وَأَنْعَمُوا

---

(١) حديث الفتون - بضم الفاء والتاء - حديث أخرجه النسائي في كتاب التفسير، في قصة موسى مع فرعون وهو حديث طويل جداً، فذكرها علماء التفسير في تفسير قوله تعالى "وقتذاك فتونا" وسمي بحديث الفتون؛ وأخرجه ابن جرير، وابن أبي حاتم، في (تفسيرهما) من حديث يزيد بن هارون، وغالبه متلقي من الإسرائيليات. قال ابن كثير في تفسيره: (حديث الفتون): "روى الإمام أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي في سننه، عن سعيد بن جبير، قال: سألت عبد الله بن عباس عن قول الله عز وجل لموسى عليه السلام: ﴿وَقَتْنَاكَ﴾ فتونا، فسأله عن الفتون ما هو؟ فقال: استأنف النهار يا ابن جبير، فإن لها حديثاً طويلاً، فلما أصبحت غدوت إلى ابن عباس لأنتجز منه ما وعدني من حديث الفتون". . . . الحديث؛ ثم بعد أن سرد نص الحديث قال في تخريجه (أخرجه النسائي في سننه وابن جرير وابن أبي حاتم في تفسيريهما، قال ابن كثير: وهو موقوف من كلام ابن عباس وليس فيه مرفوع إلا قليل منه وكأنه تلقاه ابن عباس مما أبيع نقله من الإسرائيليات).

الظاهر أنه أراد بـ"الصحب" هنا : أصحاب النبي - صلى الله عليه وسلم - و"الإخوان" في الإيمان، و"الولد" أولاد هؤلاء لا أولاده هو، ومن "رعوهم بإحسان" : أي تبعوهم وأحسنوا إيتاعهم بالرعاية الكاملة كما قال الله تعالى ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ [التوبة - ١٠٠] ؛ ثم عمم وقال :

### وسائر من للسنة المحضة اقتفى \*\*\* وما زاغ عنها فهو حقاً مقدّم

" المحضة " : الخالصة ؛ خالصة من أي شيء ؟ من كل ما يشوبها من ضعف أو نقص لأن السنة قد لا تكون خالصة وذلك إذا كانت ضعيفة أو موضوعة فهذه ليست بسنة ؛ وإن نسبت إلى الرسول - صلى الله عليه وسلم - ؛ "وما زاغ عنها فهو حقاً مقدّم" ما زاغ : يعنى ما انحرَفَ عن هذه السنة فهو حقاً مقدّم على غيره ، فكل من تمسك بسنة الرسول - صلى الله عليه وسلم - ظاهراً وباطناً فهو مقدّم على غيره بلا شك ، وكل ما كان لها أتبع كان لله أطوع ؛ ثم قال في وصف هؤلاء السابقين كلهم :

### أولئك أتباع النبي وحزبه \*\*\* ولولاهم ما كان في الأرض مسلم

أي طائفة الذين يتحزون إليه وينصرونه "ولولاهم ما كان في الأرض مسلم" يعنى أنهم هم السبب الذين نشر الله بهم الإسلام وهنا أطلق المؤلف قوله " ولولاهم " ؛ لأن استعمال " لولا " في السبب الحقيقي الشرعي أو الحسي جائز ، سواء ذكر معها الله - عز وجل - الذي هو مسبب الأسباب أم لم يذكر .  
والحذور أمران:

١- أحدهما أن يضاف هذا الشيء إلى غير سببه الشرعي أو الحسي هذا لا يجوز .

مثل أن يقول القائل: لولا الولي فلان لحصل كذا وكذا ، والولي ماهو حاضر أو ميت هذا لا يجوز .

٢- الحذور الثاني أو الأمر الثاني من الحذور؛ أن يقرنها مع الله بحرف يقتضى التسوية كقولك " لولا

الله وكذا " ؛ فهذا لا يجوز وإن كان السبب صحيحاً حتى وإن كان السبب صحيحاً لو قلت

مثلاً وقد غرقت وأخرجك إنسان من الغرق لو قلت : " لولا الله وفلان لهلكت " .

هذا لا يجوز لأنك قرنت الله مع غيره بحرف يقتضى التسوية ؛ هذان هما الحذوران ! - ما هما ؟

أولاً - أن يضيف الشيء إلى غير سبب شرعي أو حسي .

ثانياً - أن يضيفه إلى سبب صحيح لكن مقروناً مع الله بحرف يقتضى التسوية كالواو .

- أما لو ذكر السبب الصحيح الشرعي أو الحسي وحده ؛ فهذا لا بأس به ؛ أو ذكره مع الله مقروناً

بالواو ؛ فهذا ؟ الحضور : " لا يجوز "

- ذكره مع الله مقروناً بـ " ثم " ، فلا بأس به كما لو قال : (لولا الله ثم) ؛ ألاحظ أننا قلنا السبب

الصحيح .

- أما لو جاء بسبب غير صحيح فانه لا يصح ولو قرنه بـ " ثم : كما لو قال (لولا الله ثم الولي فلان

الميت أو الغائب) هذا لا يجوز . أعرفتم الآن ؟

ابن القيم رحمه الله في هذه الآيات قال : "لولاهم " فأضافه إلى سبب صحيح غير مقرون مع الله

بالواو ؛ إذاً لولاهم ما كان في الأرض مسلم ! .

هل هم السبب الوحيد في ذلك ؟

الجواب : لا ؛ أصل ذلك الرسالة التي جاء بها محمد - عليه الصلاة والسلام - ، فكانوا هؤلاء حزباً

له ، وناصرين له ، ففتح الله بهم من البلدان والقلوب ما لا يعلمه إلا الله - عز وجل - اتبها هذه

النقطة ؛ والدليل على أن السبب الصحيح الشرعي أو الحسي جائز أن يضاف إليه الشيء بـ " لولا

" بدون ذكر الله قول الرسول - صلى الله عليه وسلم - : " لولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار "

(١) يعنى عمه أبا طالب .

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب فضائل الصحابة برقم (٣٦٧٠) وكتاب الأدب (٥٨٥٥) ؛ ومسلم في كتاب الإيمان (٣٥٧-٢٠٩) باب

شفاعة النبي ﷺ لأبي طالب ؛ وأحمد في مسنده ، وفي مسند أبي يعلى برقم (٦٦٩٤) من حديث العباس بن عبد المطلب أنه قال : " يا

رسول الله عمك أبو طالب كان يحوطك ويفعل قال : إنه في ضحضاح من النار ولولا أنا كان في الدرك الأسفل " .



قال :

وَلَوْلَاهُمْ كَادَتْ تَمِيدُ بِأَهْلِهَا \*\*\* وَلَكِنْ رَوَّاسِيهَا وَأَوْتَادُهَا هُمْ

المراد بـ " المِيدَان " هنا ليس المِيدَان الحسي ولكن المعنوي ؛ يعنى لولا هؤلاء لا اضطربت الأقوال واختلفت الآراء وفسدت الأرض .

وَلَوْلَاهُمْ كَانَتْ ظِلَامًا بِأَهْلِهَا \*\*\* وَلَكِنْ هُمْ فِيهَا بُدُورٌ وَأُنْجُمٌ

صحيح أن حزب الرسول - عليه الصلاة والسلام - القائمين بسنته الداعين إليها هم البدور والأنجم ، هم البدور والأنجم النافعة للعباد والبلاد .

قال :

أُولَئِكَ أَصْحَابِي فَحَيَّ هَلَّا بِهِمْ \*\*\* وَحَيَّ هَلَّا بِالطَّيِّبِينَ وَأُنْعِمُ

صحبته زمنية وإلا صحبة دينية ؟

- دينية ؛ ثم قال لما عمم السلام :

لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ [ هذا تخصيص ] سَلَامٌ يَخُصُّهُ \*\*\* يُبَلِّغُهُ الْأَدْنَى إِلَيْهِ وَيُنْعِمُ

وهذا يدل على شدة تعلق قلب المؤلف بهؤلاء ، حيث سلم عليهم ذلك السلام العام وأثنى عليهم ثم خصص ؛ ثم قال :

فِيَا مُحْسِنًا بَلِّغْ سَلَامِي وَقُلْ لَهُمْ \*\*\* مُجِيبُكُمْ يَدْعُو لَكُمْ وَيُسَلِّمُ

الظاهر من هنا أنه تصوّر شخصاً محسناً خاطبه بذلك ليبلغهم سلامه ، ولم يقصد بذلك الله - عز وجل - لم يقصد أن الله يبلغ سلامه إياهم ولكن تصوّر شخصاً محسناً يبلغ هؤلاء السلام ، وكل هذا من باب الخيال الواسع الذي يدور في ذهن الشعراء .

وَيَا لِرِئْمِي فِي حُبِّهِمْ وَوَلَايَتِهِمْ \*\*\* تَأْمَلْ هَذَاكَ اللَّهُ مَنْ هُوَ الْوَمُ

أيهم الألوم ؟ ! الذي يلوم الشخص في حُب أصحاب الرسول وأتباعه وحزبه ؟ أو الحاب ؟ الأول .

بأي دليل أم بآية حجة \*\*\* ترى حُبهم عاراً عليّ وتَنقُم

هذا النفي للإنكار ، يعنى ليس عندك أي دليل ، وأتحداك أن تأتي لي بدليل يجعل حُب هؤلاء عاراً يُنقُم عليّ به ، وكأنه يُندد بالرافضة <sup>(١)</sup> الذين يرون أن حُب الصحابة عارٌ ، وأنه يجب بغضهم وسبهم إلا من استثنوا منهم من آل البيت ، ونقرأ قليلاً من غيرهم .

قال :

وما العارُ إلا بغضهم واجتنابهم \*\*\* وحُبُّ عداهم ذاك عارٌ ومأثمٌ

صح ؛ حُبُّ الصحابة وحزب الرسول - صلى الله عليه وسلم - ليس بعارٍ ؛ بل هو شرفٌ وطاعة و أجر و (المرء مع من أحب) <sup>(٢)</sup> لكن بغضهم هو العارُ .

أما والذي شقَّ القلوبَ وأودَعَ الـ \*\*\* محبةً فيها حيثُ لا تصرَّم

(أما) هذه للتنبيهِ مثل (ألا) ؛ ثم أقسم بالله - عز وجل - الذي شقَّ القلوب و أودَعَ المحبة فيها ، فالذي يُلقي المحبة في القلوب هو الله - عز وجل - أحياناً تودُّ أن تُحبَّ شخصاً ولكن تعجز و كثيراً ما يلقى الله في قلبك محبة شخصٍ من غير أي سببٍ و عملٍ ؛ ولهذا قال النبي - عليه الصلاة

---

( ١ ) الرافضة هم من يُطلق عليهم خطأً "الشيعة"

( ٢ ) رواه ابوداود (٥١٢٧) كتاب الأدب ؛ وابن حبان (٥٥٧) وبوب مسلم باباً سماه "باب المرء مع من أحب" ، وكذلك الترمذي برقم (٢٤٩٤) عن أنس بن مالك قال: رأيت أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فرحوا بشيء لم أرهم فرحوا بشيء أشد منه ، قال رجل: يا رسول الله ! الرجل يحب الرجل على العمل من الخير يعمل به ولا يعمل بمثله ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "المرء مع من أحب" . وأخرجه البخاري (٥٨١٦\٥٨١٧) في كتاب الأدب ، واحمد في مسنده من حديث عبد الله ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (المرء مع من أحب) .

والسلام - : " اللهم هذا قسمي فيما أملك ، فلا تلمني فيما تملك ولا أملك " (١)؛ فالحبة يُلقيها الله عز وجل في قلب الإنسان، وما أجمل الحبة إذا ألقاها الله - تعالى - محبة الله ورسوله و المؤمنين؛ هذه أشرف أنواع الحبة التي يتمنى الإنسان أن الله - سبحانه وتعالى - يضعها في قلبه .

وَحَمَلَهَا قَلْبَ الْمُحِبِّ وَإِنَّهُ \*\*\* لَيَضَعُ عَنْ حَمْلِ الْقَمِيصِ وَيَأْلُمُ

صح :يقول إنَّ الحبة التي [اللي] هي من أشد ما يصيب لأن الحبة جذابة ؛ تجذب الإنسان بسلاسل من حديد إلى من ؟ إلى المحبوب ولهذا لا يمكن أن تجد أحداً يحب الله - عز وجل - إلا ويعمل بطاعته ؛ لما ادعى قوم أنهم يحبون الله ماذا قال الله للرسول ؟ قال ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي ﴾ [آل عمران - ٣١] ، إذا كنت [كانك] صادق فاتبع الرسول - عليه الصلاة والسلام -؛ أما تقول والله أنا أحب الله والرسول ، و تقعد تمسح دموعك وتقول أنا أحبهم ، وإذا بك من أفسق عباد الله فهذا كذب ؛ الميزان الذي لا يمكن أن يخس هو إتباع الرسول - عليه الصلاة والسلام - كلما رأيت الإنسان أتبع للرسول - عليه الصلاة والسلام - فاعلم أنه أحب إلى الله، وأنه أحب الناس لله ؛ يعني أنه يحب الله والله تعالى يحبه ، لأن محبة لله قادته إلى إتباع رسوله ، وأثر الإتياع محبة الله .

فهنا ثلاثة ، سلسلة :

محبة الإنسان ،ينتج عنها إتباع الرسول - عليه الصلاة والسلام - ،ثمر محبة الله - عز وجل - ؛فهذه الحبة يُحَمِّلها الله قلب المحب وإنه أي القلب أو المحب ؟ . . يحتمل لكن ما الذي يلبس القميص ؟ - المحب ؛ ليضعف عن حمل القميص ويألم .

وَذَلَّلَهَا حَتَّى اسْتَكَانَتْ لِصَوْلَةِ الـ \*\*\* مَحَبَّةٍ لَا تَلْوِي وَلَا تَلْعَمُ

---

( ١ ) رواه البيهقي(١٤٥٢١) والدارمي (٢٢٠٧) والحاكم في المستدرک(٢٧٦١)،وابن أبي شيبه (٢٢٨) عن عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم فيعدل ويقول "اللهم هذا قسمي فيما أملك فلا تلومني فيما تملك ولا أملك"؛ورواه أحمد في مسنده والنسائي بلفظ " اللهم هذا فعلى في ما أملك فلا تلومني فيما تملك ولا أملك "

ذلّٰها: الظاهر أنّها القلوب ، حتّى استكانت لصولة المحبة ، والمحبة أمرها عظيم ولا يعرف شأنها إلا من قرأ أخبار العُشّاق ؛ من قرأ أخبار العُشّاق عرف كيف أثر المحبة وشأنها ؛ لكن محبة الله لا تولّد ما تولده محبة العُشّاق ، لأنّ محبة العُشّاق قد تقتل العاشق ؛ لكن محبة الله تزيده سرورا ، وانشراحا وفرحا وانبساطا ، فبين المحبتين أعظم من ما بين السماء والأرض .

المحبة شأنها عظيم حتّى إنّ ابن القيم - رحمه الله - في روضة المحبتين<sup>(١)</sup> قال " إنّ كل شيء يدور على المحبة " لولا محبتك للخبز ما أكلت ، للنوم ما نمت ، للذهاب لأصحابك ما ذهبت ، وهكذا لكن الموفق من وفقه الله وجعل محبته تابعة لمحبة الله - عز وجل - نسأل الله أن يجعلني وإياكم منهم .

وَذَلَّلَهَا حَتَّى اسْتَكَانَتْ لَصَوْلَةِ الـ \*\*\* مَحَبَّةٍ لَا تَلْوِي وَلَا تَتَلَعَّمُ

يعني لا تتأخّر ولا تميل يمينا ولا شمالا .

وَذَلَّلَ فِيهَا أَنْفُسًا دُونَ ذُلِّهَا \*\*\* حِيَاضُ الْمَنَآيَا فَوْقَهَا وَهِيَ حَوْمٌ

ذلّ فيها : أي في المحبة ، أنفسا دون ذلّها : وإذا شئت مثالا يضربُ لذلك ، فتذكر قصة مغيث و بريرة !<sup>(٢)</sup> ؛ مغيثٌ يحبُّ بريرة ، بريرة لا تحبُّه ، مغيثٌ يمشي وراءها في سِكَكِ المدينة يبكي - رجل يبكي خلف امرأة ! يصيح - يطلب أن ترجع له أو أن تُبقي النكاح؛ إذاً نفسه ذلّت لهذه المرأة من أجل المحبة ! ، كيف المحبة تصنع بالرجال حتّى تجعلهم أذلة للنساء ؟

---

( ١ ) من مؤلفات الإمام ابن القيم - رحمه الله - .

( ٢ ) رواه ابن ماجه (٢٠٧٥) ، والدارمي (٢٢٩٢) عن ابن عباس قال: كان زوج بريرة عبدا يقال له مغيث . كأنني أنظر إليه يطوف خلفها ويبكي . ودموعه تسيل على خده . فقال النبي صلى الله عليه وسلم للعباس (يا عباس ! ألا تعجب من حب مغيث بريرة ، ومن بغض بريرة مغيثا ؟) فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم ((لو راجعتيه ، فإنه أبو ولدك)) قالت: يا رسول الله ! تأمرني ؟ قال ((إنما أشفع)) قالت: لا حاجة لي فيه .

وهذا أمر - كما قال المؤلف - أمرٌ من الله - عز وجل - هو الذي شقَّ قلبه وأودَعَ فيه المحبة، ولهذا ينبغي لك دائماً أن تسأل الله - عز وجل - أن يجعل محبتك تابعةً لمحبة ، اللهم إني أسألك حبك وحباً من يُحبك وحبَّ العمل الذي يُقربني إلى حُبكَ .

ثم قال المؤلف : "حِياضُ المنايا فوقها وهي حُومٌ" يعني من شدة المحبة كأن حياض المنايا وهي موارد المنايا التي ترد إليها فوق هذه النفوس تحوم عليها لتقتلها من شدة المحبة .

لَأَتَمَّ عَلَى قَرَبِ الدِّيارِ وَبُعْدِها \*\*\* أَحَبُّنا إِنْ غَبِثُمْ أَوْ حَضَرْتُمْ

الله أكبر ! هذه محبة عظيمة ، يعني أتم أحبنا قربتم أم بعدتم ، غبثتم أم حضرتم ؛ وهذا دليل على أن محبة هؤلاء قد ملأت قلب ابن القيم - رحمه الله - ؛ ثم قال مستشهداً :

سَلُّوا نَسَمَاتِ الرِّيحِ كَمْ قَدْ تَحَمَّلْتُ \*\*\* مَحَبَّةَ صَبٍّ شَوْقُهُ لَيْسَ يُكْتَمُ

نَسَمَاتُ: يعني هُبُوبها؛ سَلُّوها - كم تحملت ؛ لأن الريح هي التي تأتي بالروائح ، سلوها كم تحملت من الأشواق ، وهذا يعني أنها كثيرة وإلا قليلة ؟ ! كثيرة .

وشاهدُ هذا أنها في هُبُوبها \*\*\* تكادُ تُبْثُّ الوَجْدَ لو تُكَلِّمُ

الوجد : شدة المحبة ، يعني شاهد هذا أن هذه النسمات الريفية التي تحمل محبتنا إليكم ؛ تكاد تنشر الودَّ بالصوت لو تتكلَّم ! لكنها لا تتكلم إلا أنها تحمل الأشواق .

وَكُنْتُ إِذا ما اشْتَدَّ بي الشَّوقُ والجَوَى \*\*\* وكادَتْ عُرَى الصَّبْرِ الجميلِ تَقْصَمُ

خَبِرُ " كَتُّ " :

أَعْلَلُ نَفْسِي بالتَّلَاقِي وَقُرْبِهِ \*\*\* وأوْهِمُها لِكِنَّها تَوَهَّمُ

وأَتَبِعُ طَرْفِي وَجْهَهُ أَتَمُّ بها \*\*\* فلي بِجَمَها مَرِيعٌ ومُخَيَّمُ

وأَذْكُرُ بَيْتاً قاله بعضُ مَنْ خَلا \*\*\* وَقَدْ ضَلَّ عَنْهُ صَبْرُهُ فهو مُغْرَمُ

أَسْأَلُ عَنْكُمْ كُلَّ غادٍ ورائِحٍ \*\*\* وأُومِي إلى أوطانِكُمْ وأَسْأَلُ

يقول: كُنْتُ إِذَا مَا اشْتَدَّ بِي الشَّوْقُ وَالْجَوَى، الشَّوْقُ: معروفٌ شدةُ الحُبِّ ، والجوى : الظاهر هو أصله الحزن على فراق المحبوب ، " وَكَادَتْ عُرَى الصَّبْرِ الْجَمِيلِ تَفْصَمُ " : كُنْتُ أَعْلَلُ .. وَأَتَّبِعُ .. وَأَذْكُرُ ..

أَعْلَلُ : هذا حديث النفس ؛ وَأَتَّبِعُ طَرَفِي : هذا عملُ العين ، وَأَذْكُرُ بَيْتًا : هذا عملُ النفس ، تسليّة .  
أَعْلَلُ نَفْسِي بِالتَّلَاقِي وَقُرْبِهِ : وأقولُ سيأتي اللقاء ، وَكُلُّ عَاتٍ قَرِيبٌ ؛ اصبر ! ؛ سوف تتفقين بأحبائك ؛ وَأَوْهَمُهَا : يعني أَوْهَمُهَا بِقَرَبِ التَّلَاقِي وَأَنَّهُ لَيْسَ بَعِيدٌ ؛ لكنها تَوَهَّمُ . يعني معناه يلحقها الوهمُ من شدةِ الشَّوْقِ وَلَا تَعِي مَا أَقُولُ لَهَا .

ثَانِيًا: وَأَتَّبِعُ طَرَفِي وَجْهَةً أَتَمُّ بِهَا : كَأَنِّي أَتَصَوَّرُ أَنَّ هَذَا الرَّجُلَ خَارِجَ الْبَلَدِ ، وَمُجِبُّوهُ نَحْوَ مَكَّةَ ..  
أَيْنَ يَتَجَهَّ ؟

- إِلَى مَكَّةَ ، يَنْظُرُ إِلَى الْجِهَةِ الَّتِي هُمْ فِيهَا " فَلِي بِجَمَاهَا مَرَبِّعٌ وَمُخَيَّمٌ "   
ثَالِثًا قَالَ :

وَأَذْكُرُ بَيْتًا قَالَهُ بَعْضُ مَنْ خَلَا \*\*\* وَقَدْ ضَلَّ عَنْهُ صَبْرُهُ فَهُوَ مُغْرَمٌ

يعني : أَنَّهُ مُغْرَمٌ بِالْحُبِّ ؛ وَأَنْ غَرِيمًا لِأَزْمِهِ ؛ مَا هَذَا الْبَيْتُ ؟

أَسْأَلُ عَنْكُمْ كُلَّ غَادٍ وَرَائِحٍ \*\*\* وَأُومِي إِلَى أَوْطَانِكُمْ وَأَسْلَمُ

غَادٍ : يعني في الصَّبَاحِ ، وَرَائِحٍ : يعني في الْمَسَاءِ ؛ " وَأُومِي إِلَى أَوْطَانِكُمْ وَأَسْلَمُ " ، وهذا البيت لغير ابن القيم ، لكنه يتذكر هذا البيت الذي يذكر صاحبه هذا القول :

أَسْأَلُ عَنْكُمْ كُلَّ غَادٍ وَرَائِحٍ \*\*\* وَأُومِي إِلَى أَوْطَانِكُمْ وَأَسْلَمُ

يعني لو تصوّرت هذا الحال وتخيّلتها ، وجدت أنه في شوقٍ عظيم ، كل واحدٍ ييجي في الصَّبَاحِ أَوْ فِي الْمَسَاءِ - يسأل - ؛ أَيْنَ الْأَحِبَّةُ أَيْنَ تَرْكُهُمْ وَأَيْنَ وَجَدْتَهُمْ ... إلخ ؛ ومع ذلك " أُومِي إِلَى أَوْطَانِهِمْ وَيَسْلَمُ " كأنه المجنون من شدة الوله ومن شدة الشَّوْقِ .

وَكَمْ يَصْبِرُ الْمَشْتَاقُ عَمَّنْ يُحِبُّهُ \*\*\* وَفِي قَلْبِهِ نَارُ الْأَسَى تَتَضَرَّمُ

يعني يقول ما أكثر ما يصبر المشتاق عمن يُحِبُّه ، ويتصَبَّر لكن في قلبه نَارُ الْأَسَى يعني . الحزن .  
تتَضَرَّمُ ؛ وهو كذلك ؛ يصبرُ الإنسان ويُعَلِّلُ نفسه بالتلاقي ويقول إن شاء الله اللقاء قريب وما أشبه  
ذلك وقلبه فيه النار تتضَرَّمُ ؛ يريد الوصول إلى محبوبه .

ثم انتقل المؤلف رحمه الله من هذا التصوير للأحباب الذين هم حزبُ الرسول - عليه الصلاة والسلام  
- ؛ انتقل إلى موضوع آخر جديد وهو تصوُّر الحَجِّ ، فلا أدري هل المؤلف - رحمه الله - نظَّم هذه  
القصيدة في سفر الحج ، لأنه حقيقةً أن تقديم الأحباب والتحدث عنهم وهو يريد الحج له مناسبة ،  
فقد يكون المؤلف - رحمه الله - نظَّم هذه القصيدة وهو في سفره إلى الحج - والله أعلم - .

أَمَّا وَالَّذِي حَجَّ الْمُحِبُّونَ بَيْتَهُ \*\*\* وَلَبَّوْا لَهُ عِنْدَ الْمَهْلِ وَأَحْرَمُوا

المُهْل: مكان الإهلال، قال ابن عمر سمعت النبي - صلى الله عليه وسلم - يقول "مُهْل أهل المدينة  
كذا وكذا... " (١)؛ المؤلف رحمه الله بعد أن ذكرَ ؛ الحبة وما تؤثر في القلب ؛ انتقل إلى ذكر شيءٍ  
مما يُحِبُّهُ المؤمنُ ، وهو الوصول إلى بيتِ الله الحرام فقال :

أَمَّا وَالَّذِي حَجَّ الْمُحِبُّونَ بَيْتَهُ \*\*\* وَلَبَّوْا لَهُ عِنْدَ الْمَهْلِ وَأَحْرَمُوا

وهذا يعني به الله عز وجل ، فإنه هو الذي يُقسَمُ به ، فقال : " أَمَّا وَالَّذِي حَجَّ الْمُحِبُّونَ بَيْتَهُ "  
وبيتُ الله تعالى هي الكعبة ، وأضافها الله تعالى إلى نفسه تشريفاً وتعظيماً . وقوله : " عِنْدَ الْمَهْلِ "

---

( ١ ) رواه البخاري (١٤٥٥) كتاب الحج ، ومسلم (١١٨٢) كتاب الحج ، وابن ماجه (٢٩١٥) عن سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب  
رضي الله عنه، عن أبيه . قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "مهل أهل المدينة ذو الحليفة . ومهل أهل الشام مهيعة، وهي  
الجحفة . ومهل أهل نجد قرن" . قال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: وزعموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم (ولم أسمع ذلك منه)  
قال "ومهل أهل اليمن يلملم" . ورواه البيهقي (٨٦٩٣) وابن خزيمة (٢٥٩٢) والدارقطني (كتاب الحج) من حديث جابر رضي الله عنه أنه  
سأل عن المهل ... الحديث

وَأُخْرِمُوا " المَهْل : الميقات ، لأنه مكان الإِهْلَال ، ولا يصح أن نقول : " المَهْل " لأن المَهْل من الثلاثي من هَلَّ يَهْلُ ، وهذا من الرباعي من أَهْلٌ يَهْلُ ، وهذا هو المقصود .

يقول:

وقَدْ كَشَفُوا تِلْكَ الرُّؤُوسَ تَوَاضِعًا \*\*\* لِعِزَّةٍ مِّنْ تَعْنُو الْوُجُوهَ وَتُسَلِّمُ

كشفوا رؤوسهم بالإحرام تواضعا لله - عز وجل - وهذا أمرٌ معروفٌ إلى الآن ، أن الإنسان يكشف رأسه من باب التواضع ، وتعظيم من كشف رأسه من أجله ، حتى نشاهد الآن الجند إذا مرَّ بهم شخصٌ يُكرمونه ، يضعون ما على رؤوسهم من [الطواقي] إكراما له وتعظيما ، وكذلك الصوفية الذين يُعظمون مشائخهم ، ومن يزعمونهم أولياء ، يكشفون رؤوسهم إذا أقبلوا إليهم تعظيما ؛ فكشف الرأس من العادة أنه يكون من باب التعظيم - كشف الرأس عند اللقاء - .

وقَدْ كَشَفُوا تِلْكَ الرُّؤُوسَ تَوَاضِعًا \*\*\* لِعِزَّةٍ مِّنْ تَعْنُو الْوُجُوهَ وَتُسَلِّمُ

يعني من تعنوا له وهو الله ؛ أي تذل له ، كما قال تعالى ﴿ وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ ﴾ [طه - ١١١] وهذا معنى لا يكادُ أحدٌ من المسلمين يشعر به ؛ أنه يكشف الرأس تواضعا لله - عز وجل - ولولا أن المرأة عورة لكان من تعظيم شعائر الله أن تكشف رأسها ، لكن هي عورةٌ فصار في حق الرجل دون المرأة .

يُهْلُونَ بِالْبِيدَاءِ لِيَبْكُ رَبَّنَا \*\*\* لَكَ الْمُلْكُ وَالْحَمْدُ الَّذِي أَنْتَ تَعْلَمُ

التلبية المعروفة المشهورة - تلبية النبي - عليه الصلاة والسلام - يُهْلُونَ بِالْبِيدَاءِ<sup>(١)</sup> : مكان معروف عند مُهل أهل المدينة ، يقول : " ليبيك ربنا .. ليبيك اللهم ليبيك .. إلخ ؛ والتلبية بمعنى الإجابة والطاعة والإقبال .

( ١ ) البیداء : مكان معروف بین مكة والمدينة ؛ ورجح ابن حجر أنها هي ذي الحليفة ( انظر فتح الباری شرح الحديث رقم ١٤٦٦ )

حيث قال: "فائدة البیداء هذه فوق علمي ذي الحليفة لمن صعد من الوادي قاله أبو عبيد البكري وغيره" .



دَعَاهُمْ فَلَبَّوْهُ رِضًا وَمَحَبَّةً \*\*\* فَلَمَّا دَعَوْهُ كَانَ أَقْرَبَ مِنْهُمْ

دعاهم: يعني الله - عز وجل - " فَلَبَّوْهُ رِضًا وَمَحَبَّةً " ؛ قال الله تعالى : ﴿ وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴾ [الحج - ٢٧] .، فلَمَّا دعاهم الله - عز وجل - لَبَّوْا هذه الدعوة ، رَضَى بِشَرْعِهِ ، ومَحَبَّةً لَهُ .

قال:

تَرَاهُمْ عَلَى الْأَنْضَاءِ <sup>(١)</sup> شُعْنًا رُؤُوسُهُمْ \*\*\* وَغُبْرًا وَهُمْ فِيهَا أَسْرُ وَأُنْعَمُ

يعني مع مشقة السفر وطول السفر، لاسيما في الزمن السابق لما كانوا يسيرون على الإبل وعلى الأرجل ، يكونون على هذا الوصف على الإبل التي قد هزَلَتْ من طول السير والمشقة ، " شُعْنًا رُؤُوسُهُمْ وَغُبْرًا " ولكن " وَهُمْ فِيهَا " أي في هذه الحال " أَسْرُ وَأُنْعَم " ،لأنهم إنما شَعَتْ رؤوسهم لمن ؟ الله - عز وجل - .

وَقَدْ فَارَقُوا الْأَوْطَانَ وَالْأَهْلَ رَغْبَةً \*\*\* وَلَمْ يُثْنِمُ لَذَائِهِمُ وَالنَّعْمُ

فهم فارقوا أوطانهم ، وأهلهم ، وتنعمهم ، ولذائهم كل ذلك رغبةً في ما عند الله - عز وجل - لهذا كان الحج نوعاً من الجهاد <sup>(٢)</sup> .

يَسِيرُونَ مِنْ أَقْطَارِهَا وَفَجَاجِهَا \*\*\* رِجَالًا وَرُكْبَانًا وَلِلَّهِ أَسْلَمُوا

من كل الأقطار ، يأتون من أقصى شرق آسيا ، ويأتون من أقصى المغرب ، يؤمُّون هذا البيت ،يبقى الإنسان ستة أشهرٍ حتى يصل إلى البيت، ولقد حَدَّثَنَا المشاة الذين كانوا يَمْرُونَ بنا، ويُسمَّون عند العامة [الدراويش] يأتون ينتقلون من أقصى شرق آسيا ستة أشهرٍ ، ينزلون من قريةٍ إلى قريةٍ ومن

( ١ ) الأنضاء : الإبل التي قد هزَلَتْ ، مفردُها نضو ويطلق على قليل اللحم من إنسان أو حيوان .

( ٢ ) قد جاء ذكر أن الحج جهاد في بعض الأحاديث منها ما رواه ابن ماجه برقم(٢٩٠١) كتاب المناسك ،عن عائشة بنت طلحة، عن

عائشة؛ قالت: قلت يا رسول الله على النساء جهاد؟ قال "نعم. عليهن جهاد لا قتال فيه: الحج والعمرة".

مدينة إلى مدينة حتى يصلون إلى مكة ؛ كما قال المؤلف - رحمه الله - " مِنْ أَقْطَارِهَا وَفَجَاجِهَا ،  
رِجَالًا وَرُكْبَانًا وَلِلَّهِ أَسْلَمُوا " ، انقادوا محبةً وتعظيمًا . ورجاءً لما عنده ، حتى وصلوا إلى مناهم .

وَلَمَّا رَأَتْ أَبْصَارُهُمْ بَيْتَهُ الَّذِي \*\*\* قُلُوبُ الْوَرَى شَوْقًا إِلَيْهِ تَضَرَّمْ

كَأَنَّهُمْ لَمْ يُنْصَبُوا قَطُّ قَبْلَهُ \*\*\* لَأَنَّ شَقَاهُمْ قَدْ تَرَحَّلَ عَنْهُمْ

لَمَّا وصلوا إلى الحبوب ، نسوا جميع المشاق التي صارت عليهم ، كأن لم يكن شيئاً ؛ يقول : " كَأَنَّهُمْ  
لَمْ يُنْصَبُوا قَطُّ قَبْلَهُ " أي : لم يتعبوا ، ولم يحصل لهم ذاك الشعث والغبرة والتعب والجوع ، والعطش  
والحر والبرد ؛ حتى كان يُحدِّثنا . يحدثني . من أثقُّ به أنه حجَّ مع الجماعة في شدة الحر وقد كشفوا  
رؤوسهم ، وكانت الرؤوس من شدة الحر تطير قشورها - من شدة الحر - وهم صابرون محتسبون  
يرجون ثواب الله - عز وجل - ومع هذا إذا وصلوا إلى البيت ؛ زال عنهم كل شيء ، كأن لم يحصل  
لهم نصبٌ أو تعب .

فَلِلَّهِ كُمْ مِنْ عِبْرَةٍ مُهْرَاقَةٍ \*\*\* وَأُخْرَى عَلَى آثَارِهَا لَا تَقْدَمُ

يعني إذا رأوا البيت بكوا وعَجُّوا بالبكاء ، لحصول مطلوبهم وشدة شوقهم إلى ربهم - عز وجل - لا  
لألم أو ضيق ، ولكن من شدة الشوق وحصول المطلوب .

وَقَدْ شَرِقَتْ عَيْنُ الْمُحِبِّ بِدُمْعِهَا \*\*\* فَيَنْظُرُ مِنْ بَيْنِ الدُّمُوعِ وَيُسْجِمُ

الإنسان إذا اغرورقت عيناه بالدموع ، تجده لا يُبصرُ البصر المعروف ، لكنه ينظر من بين الدموع ،  
ومن بين هذا الماء الذي يترقرق في عينه ؛ كما قال المؤلف :

إِذَا عَايَنَتُهُ الْعَيْنُ زَالَ ظِلَالُهَا \*\*\* وَزَالَ عَنِ الْقَلْبِ الْكَيْبُ التَّأَلُّمُ

لأنه يرى بيتَ محبوبه الذي ما جاء من أقصى البلاد إلا من أجله ، فيزول عنه ألم القلب ، ولا يبقى  
في قلبه شيءٌ من الألم أو التعب .

وَلَا يَعْرِفُ الطَّرْفُ الْمَعَايِنُ حُسْنَهُ \*\*\* إِلَى أَنْ يَعُودَ الطَّرْفُ وَالشَّوْقُ أَعْظَمُ

يعني : مع كونه وصل إلى الغاية ، فإذا نظر إلى هذا المحبوب ، لا يعود الطرف إليه إلا وقد ازداد الشوق إليه ، وهكذا كل محبوب يُحبُّه الإنسان محبةً شديدةً ، لا يشبع منه حتى لو ظفر به ، لا يكاد ينظر إليه أو يسمع قوله إلا ازداد شوقاً .

### ولا عجبٌ من ذا فحين أضافه \*\*\* إلى نفسه الرحمن؛ فهو المعظم

يعني : لا تعجب من هذا الشوق العظيم لهذا البيت ، وهذا الفرح بقاء هذا البيت ؛ لا تعجب ! ، فحين أضافه إلى نفسه الرحمن ؛ فهو المعظم : يعني أن ما في القلوب من المحبة والتعظيم لهذا البيت إنما هو بسبب إضافته إلى الله ؛ فتعظيم البيت من تعظيم الله - عز وجل - .

والعجب أن من الناس اليوم من يُعظم هذا البيت ولا يريد أحداً أن يحدسه بأي أذى ولكنه لا يُعظم رب البيت ، كل النهار في معاصي رب هذا البيت ، وفي الفجور والفسق ، ومع ذلك لا يرضى أن أحداً يمس هذا البيت بلمسة أذى ، أو بأي شيء ، لكنه بالنسبة لرب البيت لا يهتم ؛ وهذا من انعكاس القضية ، لأننا لا نحب بيت الله ولا نحب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ولا نحب المؤمنين إلا من أجل من ؟ - من أجل الله - عز وجل - ؛ من أجل الله - سبحانه وتعالى - ؛ فالذين عكسوا القضية وصاروا يُعظمون هذا البيت ذلك التعظيم الذي - البيت جدير به - لكنهم لا يُعظمون الله - عز وجل - !! ؛ هؤلاء نقول : عكسوا القضية ، وابن القيم - هنا - يبين أن ما يحل في القلوب من محبة البيت وتعظيمه إنما هو من أجل أن الله أضافه إليه .

### كسأه من الإجلال أعظم حلة \*\*\* عليها طراز بالملاحاة معلّم

### فمن أجل ذا كل القلوب تحبه \*\*\* وتخضع لإجلاله وتُعظم

لا شك أن البيت قد كسأه الله تعالى جلالاً، وعظمةً ، وخفةً في النفوس ، يجد الإنسان فيه من الجمال والجلال والملاحاة التي تكسب الجمال رونقاً ، لأنه ليس كل جميل يكون مليحاً ؛ والجمال إذا

فقد منه الملاحظة لم يكن ذلك الشيء المطلوب ، كما أن الملاحظة إذا كانت مع شيء من النقص في الجمال زادته بهاءً ؛ إذاً هذا البيت جمع بين الجمال والملاحظة فأعطي من الحسن أكمله .

قال:

**وراحوا إلى التعريف يرجون رحمة \*\*\* ومغفرة ممن يجود ويكرم**

من المعلوم أن المؤلف رحمه الله طوى ذكر المبيت بمنى ، فقال راحوا إلى التعريف وذلك لأن الأصل والمقصود هو الوقوف بعرفة ، لقول النبي - عليه الصلاة والسلام - " الحج عرفة " <sup>(١)</sup> ، يرجون رحمة ومغفرة من الله عز وجل الذي يجود بالخير ، ويكرم أولياءه .

**فله ذاك الموقف الأعظم الذي \*\*\* كموقف يوم العرض بل ذاك أعظم**

موقف عرفة ؛ يقول: كموقف يوم العرض ، بل ذاك . أي موقف يوم العرض . أعظم ، ما في شك أنه أعظم لأنه يجمع الأولين والآخرين ، والمؤمنين والكافرين ، والآدميين وغير الآدميين ، أما هذا لا يجمع إلا من حج فقط ! وهم طائفة قليلة بالنسبة لموقف العرض ، لكنه في الحقيقة مشهد مصغر لمشهد العرض ، تجدد الناس من أنواع شتى مختلفين في هيئاتهم وأجسامهم ، وألوانهم وأحوالهم ، ولسنتهم وأعمالهم وقلوبهم ؛ من كل وجه مختلفين ، هذا يذهب وهذا يحيى وهذا ساكن وهذا متحرك ، فإذا شهدت الناس في هذا الدفع كأنما تتذكر يوم القيامة ، ولا سيما عند الانصراف وأنت تشهد هؤلاء الناس كأنهم جراد منتشر ، كالفراس المبعوث كما قال الله - عز وجل - ، إذا شاهدتهم . سبحانه الله العظيم . يعني تخنقك العبرة ، ما تستطيع أن تملك نفسك حتى تبكي ، تشاهد هؤلاء

---

( ١ ) رواه أحمد في مسنده ، والنسائي والدارقطني (كتاب الحج - باب المواقيت) والترمذي (٨٩٠) والبيهقي (٩٥٩٣) وابن خزيمة (٢٨٢٢)

والحاكم في مستدركه (١٧٠٣/٣١٠٠) كلهم عن عبد الرحمن بن يعمر الديلي؛ قال: شهدت رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو واقف بعرفة. وأتاه ناس من أهل نجد . فقالوا: يا رسول الله! كيف الحج؟ قال ( الحج عرفة . فمن جاء قبل صلاة الفجر ليلة جمع فقد تم حجه . أيام منى ثلاثة . فمن تعجل في يومين فلا إثم عليه . ومن تأخر فلا إثم عليه) ثم أردف رجلا خلفه فجعل ينادي بهن .

القوم ؛ كيف الموقف العظيم . الذي مقداره خمسون ألف سنة . ومع ذلك في ذلك الموقف يفرُّ المرءُ من أخيه ، وأمه وأبيه ، وصاحبه وبنيه ، كذلك أيضاً يفرُّ من فصيلة التي تؤويه ؛ قبيلة التي كان يأوي إليها في الدنيا ، يفرُّ منها يوم القيامة ، إذاً ذلك المشهد - مشهد يوم القيامة - أعظم من مشهد يوم عرفة ، لكن مشهد يوم عرفة لاشك أنه مشهدٌ مصغرٌ يعتبرُ به الإنسان ما يكون في ذلك الموقف العظيم .

قال :

وَيَدْنُو بِهِ الْجَبَّارُ جَلَّ جَلَالُهُ \*\*\* يُبَاهِي بِهِمُ أَمْلَاكَهُ فَهُوَ أَكْرَمُ

يدنو به أي في ذلك اليوم ، " الباء " هنا بمعنى " في " ، يعني في ذلك اليوم ؛ يدنو الله - عز وجل - وهذا الدنو دنوٌّ لائقٌ بجلاله وعظمته ، فهو دنوٌ حقيقيٌّ مع علوه الذي لا ينفك عنه - عز وجل - لأن العلو من صفاته الذاتية ، والدنو من صفاته الفعلية ، فلا تنافي بينهما ، فالله تعالى عالٌ فوق عرشه ومع ذلك يدنو من خلقه كيف يشاء - سبحانه وتعالى - .

يجبُ علينا أن نؤمن بهذا وأنه حقٌّ على حقيقته ، ولا نقول كيف ؟ التكيف هنا غيرُ واردٍ ، بل السؤال بكيف في هذا الموطن ؛ بدعةٌ ؛ مردودٌ على فاعله ، أنت إذا قلتَ لـ [ أبوك ! ] ، نزلَ من السقفِ إلى المجلس ؛ فقل لي كيف نزلَ ؟ .

أما إذا قلتَ : الربُّ - عز وجل - يدنو من عباده يومَ عرفة ، لا تقل لي كيف يدنو ؟ قل : آمنتُ وصدقتُ .

وَيَدْنُو بِهِ الْجَبَّارُ جَلَّ جَلَالُهُ \*\*\* يُبَاهِي بِهِمُ أَمْلَاكَهُ فَهُوَ أَكْرَمُ

يَقُولُ عِبَادِي قَدْ أَتَوْنِي مَحَبَّةً \*\*\* وَإِنِّي بِهِمْ بَرٌّ أَجُودُ وَأَرْحَمُ

عباده من كلِّ فجٍّ ، ما جاءوا إلى هذا الموقف ، وفارقوا الأوطانَ ، وصبروا على ما حصل لهم من المشقة ، في أسفارهم إلا من أجلِ محبةِ الله - عز وجل - ؛ ولا شك أن الله - سبحانه وتعالى - أكرمُ

الأكرمين ؛ فمن بذل ما يُحبُّ الله أعطاهُ الله تعالى ما يُحبُّ ولهذا قال : " وَإِنِّي بِهِمْ بِرٌّ " : أي كثيرُ العطاء ؛ " أَجُودُ وَأَرْحَمُ " .

فَأَشْهَدُكُمْ أَنِّي غَفَرْتُ ذُنُوبَهُمْ \*\*\* وَأَعْطَيْتُهُمْ مَا أَمْلَوْهُ وَأُنْعِمُ

يعني أن الله تعالى غفر الذنوب ؛ فلا ينصرفون إلا وقد غفر لهم وأعطوا ما أَمْلَوْهُ من الخير ؛ ولهذا ينبغي للمسلم في هذا الموقف العظيم وفي هذا اليوم ، أن يحرصَ على الدعاءِ والثناءِ على الله - سبحانه وتعالى - لاسيما في آخر اليوم عند الانصرافِ .

يقول ابن القيم :

فُبُشْرَاكُمْ يَا أَهْلَ ذَا الْمَوْقِفِ الَّذِي \*\*\* بِهِ يَغْفِرُ اللَّهُ الذُّنُوبَ وَيَرْحَمُ

فَكُمْ مِنْ عَتِيقٍ فِيهِ كَمَلُ عِتْقِهِ \*\*\* وَآخِرُ يَسْتَسْعَى وَرَبُّكَ أَرْحَمُ

هذه "كم" : للتكثير ، يعني ما أَكْثَرَ العِتْقَاءِ فيه من النارِ " وَآخِرُ يَسْتَسْعَى " : يعني سَيُكَمِّلُ عِتْقَهُ فيما بعد ، لكونه فاتهُ العِتْقُ في هذا اليوم ، لكن خُفِّفَ عنه فصار كالعبدِ الذي يُسْتَسْعَى ليكمل عِتْقَهُ .

وَمَا رُؤْيَى الشَّيْطَانُ أَغْيَظَ فِي الْوَرَى \*\*\* وَأَحْقَرَ مِنْهُ عِنْدَهَا وَهُوَ الْأَمُّ

الشَّيْطَانُ لَا شَكَّ أَنَّهُ عَدُوٌّ لَنَا ، وكلُّ عَدُوٍّ فَإِنَّهُ يَغِيظُ أَنْ يُرْحَمَ عَدُوُّهُ ، أليس كذلك ؟ وكلُّ عَدُوٍّ يَفْرَحُ بما يسوءُ عَدُوَّهُ ؛ الشَّيْطَانُ إِذَا رَأَى رَحْمَةَ اللَّهِ - عز وجل - في هذا اليوم تنزل على أهل الموقف فَإِنَّهُ يَغِيظُهُ هَذَا الشَّيْءُ ، ما رُؤْيَى الشَّيْطَانُ أَغْيَظَ فِي يَوْمٍ مِنَ الْأَيَّامِ مِنْ يَوْمِ عَرَفَةَ ؛ إِلَّا مَا رُؤْيَى يَوْمَ بَدْرٍ فَإِنَّهُ صَارَ غِيظُهُ فِي يَوْمِ بَدْرٍ أَشَدَّ وَأَعْظَمَ ، لأنَّ يَوْمَ بَدْرٍ حَصَلَ فِيهِ مِنْ نَصْرَةِ النَّبِيِّ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - وَأَصْحَابِهِ ، بل من نصرتنا نحن إلى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ما لم يحصل مثله ، حتى سَمَّاهُ اللَّهُ تعالى " يَوْمَ الْفُرْقَانِ " .

قُتِلَ من صناديد قُرَيْشٍ عددٌ لم يُقْتَلْ في أيِّ وقعةٍ مثل ما قُتِلَ في يوم بدر ، ومع ذلك كان المسلمون كم عددهم ؟ ثلاثمائة وبضعة عشر رجلاً يقابلون نحو ألف رجلٍ ، والمسلمون ليس معهم إلا سبعون بغيراً وفرسان فقط ، يتعاقبون عليها ، وأولئك القوم - أعداؤهم - قد جاءوا بُعْدَهم وعدَدَهم ، جاءوا كما قال الله - عز وجل - : ﴿ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطَرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ ﴾ [ سورة الأنفال - ٤٧ ] ، يقول زعيمهم أبو جهل : والله ما نرجع حتى نقطن بدرًا ، فنقيم فيها ثلاثاً ، ننحر الجزور ، ونسقي الخمر ، وتعزف علينا القيان <sup>(١)</sup> ، وتسمع بنا العرب ، فلا يزالون يهابوننا أبداً .

لأمورٍ أربعة [إيش هي] ماهي ؟ ! ننحر الجزور ، ونشرب الخمر ، وتعزف علينا القيان وتسمع بنا العرب .

حتى نقيم ثلاثاً ، ننحر الجزور ، ونسقي الخمر ، وتعزف علينا القيان ، وتسمع بنا العرب ، فلا يزالون يهابوننا أبداً .

هذه الأغراض الأربعة صارت على عكس ما أرادوا ، صارت والحمد لله ذلاً لهم إلى يوم القيامة ، سَمِعَتْ بهم العرب ، لكن سَمِعَتْ [بإيش] بماذا ؟ بذلهم وهزيمتهم ، قُتِلَ من صناديدهم أربعة وعشرون رجلاً ، سَحَبُوا فِي الْقَلِيبِ <sup>(٢)</sup> ، أُلْقُوا فِي قَلِيبٍ مِنْ قُلُبِ بَدْر ، خبيثة ، ووقف النبي - عليه الصلاة والسلام - عليهم يقول بأسمائهم وأسماء آبائهم : ( يا فلان بن فلان هل وجدت ما وعد ربكم حقاً ؟ ، فإني وجدت ما وعدني ربي حقاً ) . كلَّهم وهم أموات توبيحاً وتقريعاً وتنديماً

---

( ١ ) القيان : جمع قينة وهي تطلق على الأمة أو البيضاء وعلى كل جارية تخدم مغنية وغير مغنية والقين العبد أو الحداد وصاحب كل صناعة يدوية إلا الكاتب .

( ٢ ) الْقَلِيبُ : البئرُ ما كانت . والقليبُ : البئرُ ، قبل أن تُطَوَّى وجمعها قُلُبٌ . . انظر اللسان

لهم لما قالوا له: يا رسول الله كيف تكلم أقواماً جئفوا ؟ ، قال: ( ما أنتم بأسمع لما أقول منهم )<sup>(١)</sup>  
يعني يسمعون أكثر مما تسمعون ، لكنهم لا يجيبون .

فالمهم أن الشيطان يغتاظ يوم عرفة ، وما رؤي أغيظ من يوم عرفة إلا يوم بدر ، لأن يوم بدر شأنه عظيم ، سَمَّاهُ اللهُ تعالى يوم الفرقان قال المؤلف - رحمه الله تعالى - :

**وَمَا رُؤْيُ الشَّيْطَانِ أَغْيَظَ فِي الْوَرَى \*\*\* وَأَحْقَرُ مِنْهُ عِنْدَهَا وَهُوَ الْأَمُّ**

يعني أن الشيطان يصيبه من الغيظ والذل والاحتقار ، أو بل - الحقارة - ما لم يُصِبه من قبل ، إلا ما كان من يوم بدر ، لأن الشيطان عدو لبني آدم ، فإذا غفر الله لهم ساء ذلك واغتم ، ولهذا قال:

**وَذَاكَ لِأَمْرِ قَدْ رَأَاهُ فغَاظَهُ \*\*\* فَأَقْبَلَ يَحْثُو التُّرْبَ<sup>(٢)</sup> غَيْظًا وَيَلْطُمُ**

**لِما عَايَنْتُ عَيْنَاهُ مِنْ رَحْمَةٍ أَتَتْ \*\*\* وَمَغْفِرَةٍ مِنْ عِنْدِ ذِي الْعَرْشِ تُقَسِّمُ**

قوله ( لما ) اللام هنا للتعليل ، يعنى فعل هذا لأجل ما عاينت عيناه من الرحمة العظيمة .

---

( ١ ) رواه البخاري(٣٧٥٧) وابن حبان(٤٧٧٨) وأحمد عن أبي طلحة: أن نبي الله صلى الله عليه وسلم أمر يوم بدر بأربعة وعشرين رجلا من صناديد قريش، فتذفوا في طوى من أطواء بدر خبيث محبث، وكان إذا ظهر على قوم أقام العرصة ثلاث ليال، فلما كان ببدر اليوم الثالث أمر بإحلاله فشد عليها رحلها، ثم مشى واتبعه أصحابه وقالوا: ما نرى ينطلق إلا لبعض حاجته، حتى قام على شفة الركي، فجعل يناديهم بأسماء آبائهم: (يا فلان بن فلان، ويا فلان بن فلان، أيسركم أنكم أطعم الله ورسوله، فانا قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا، فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا) . قال عمر: يا رسول الله، ما تكلم من أجساد لا أرواح لها ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (والذي نفس محمد بيده، ما أنتم بأسمع لما أقول منهم) . ؛ قال قتادة: أحياهم الله حتى أسمعهم قوله، توبخا وتصغيرا وقيمة وحسرة ونداما .

( ٢ ) روي البيهقي في سننه(٩٢٦٤) وأبو يعلى في مسنده(١٥٧٨) عن العباس بن مرداس السلمي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا عشية عرفة لأمته بالمغفرة والرحمة وأكثر الدعاء فأجابه الله أني قد فعلت وغفرت لأمتك إلا ظلم بعضهم بعضا فأعاد فقال يا رب إنك قادر أن تغفر للظالم وتثيب المظلوم خيرا من مظلمته فلم يكن تلك العشية إلا ذا فلما كان من الغد دعا غداة المزدلفة فعاد يدعو لأمته فلم يلبث النبي صلى الله عليه وسلم أن تبسم فقال بعض أصحابه يا رسول الله بأبي أنت وأمي تبسمت في ساعة لم تكن تضحك فيها فما أضحكك أضحك الله سنك قال تبسمت من عدو الله إبليس حين علم أن الله قد أجابني في أمي وغفر للظالم أهوى يدعو بالبور والويل ويحثو التراب على رأسه وقال مرة فضحكت من جزعه . زاد أحمد " فتبسمت مما يصنع جزعه" .



بَنَى مَا بَنَى حَتَّى إِذَا ظَنَّ أَنَّهُ \*\*\* تَمَكَّنَ مِنْ بُنْيَانِهِ فَهُوَ مُحْكَمٌ  
أَتَى اللَّهُ بُنْيَانًا لَهُ مِنْ أَسَاسِهِ \*\*\* فَخَرَّ عَلَيْهِ سَاقِطًا يَهْدِمُ  
وَكَمْ قَدَرُ مَا يَعْلُو الْبِنَاءَ وَيَنْتَهِي \*\*\* إِذَا كَانَ يَنْبِيهِ وَذُو الْعَرْشِ يَهْدِمُ

يعني أنه إذا كان الله - عز وجل - يهدم ما بناه إبليس في لحظة ، فهل يمكن أن يعلو بناء إبليس ؟ !  
لا ؛ لأنك مهما عملتَ من المعاصي ، إذا تُبِتَ إلى ربك وأُثِّبْتَ ، بإخلاص وصدق ، فإن هذه  
المعاصي كلها تزول ﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ  
الذُّنُوبَ جَمِيعًا ﴾ [ سورة الزمر - ٥٣ ] .

قال:

وراحوا إلى جمعٍ فباتوا بمشعرٍ الـ \*\*\* حرامٍ وصلوا الفجرَ ثم تقدموا

( وراحوا إلى جمعٍ ) أي الحُجَّاج ، ( راحوا إلى جمعٍ ) والروح قد يُرادُ به مجرد الانطلاق ، ليس  
الانطلاق في آخر النهار ، ومنه قول النبي - صلى الله عليه وسلم - في حديث أبي هريرة فيمن تقدم  
إلى يوم الجمعة قال: " مَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الْأُولَى " (١) وهذا في أول النهار وقول من يقول إن الروح  
في آخر النهار ولا يصح لغير ذلك ، قولٌ لا أصل له ؛ فاللغة العربية تدل على أن الروح وإن كان في  
الأصل يكون بعد الزوال لكن قد يُطلق على مجرد الذهاب ؛ حتى في لغتنا العامية الآن ، نقول  
للرجل في الصباح : أين ذهبت ؟ فيقول : ماذا [إيش] ؟ رحت لفلان ؛ فقوله ( راحوا إلى جمعٍ )  
متى راحوا ؟ ما يذهبون إلى جمعٍ إلا بعد غروب الشمس .

( ١ ) رواه البخاري ( ٨٨٧ ، ٣٠٣٩ ) باب فضل الجمعة عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله قال " من اغتسل يوم الجمعة غسل الجنابة

ثم راح، فكأنما قرب بدنة، ومن راح في الساعة الثانية، فكأنما قرب بقرة، ومن راح في الثالثة، فكأنما قرب كبشاً أقرن، ومن راح في الساعة

الرابعة، فكأنما قرب دجاجة، ومن راح في الساعة الخامسة، فكأنما قرب ببضة، فإذا خرج الإمام حضرت الملائكة يستمعون الذكر " . زاد

مالك في الموطأ " من اغتسل يوم الجمعة غسل الجنابة ثم راح في الساعة الأولى . . . الحديث " ( ٢٢٧ ) كتاب الجمعة باب العمل في غسل يوم

وراحوا إلى جَمْعٍ فباتوا بِمَشْعَرِ الدُّ

\*\*\* حَرَامٍ وَصَلُّوا الْفَجْرَ ثُمَّ تَقَدَّمُوا

إِلَى الْجَمْرَةِ الْكُبْرَى يُرِيدُونَ رَمِيهَا \*\*\* لَوْ قَتَلَ صَلَاةَ الْعِيدِ ثُمَّ تَيَمَّمُوا

أَظُنُّ أَنَّ هَذَا وَاضِحٌ: أَنَّهُمْ بَاتُوا فِي مَنَى ، ثُمَّ أَتَوْا الْمَشْعَرَ الْحَرَامَ ، وَوَقَفُوا فِيهِ إِلَى أَنْ يُسَفِّرُوا جَدًّا ،  
ثُمَّ تَقَدَّمُوا إِلَى الْجَمْرَةِ الْكُبْرَى وَهِيَ جَمْرَةُ الْعَقَبَةِ يَرْمُونَهَا لَوْ قَتَلَ صَلَاةَ الْعِيدِ ، ثُمَّ تَيَمَّمُوا مَنَازِلَهُمْ  
لِلنَّحْرِ .

مَنَازِلَهُمْ لِلنَّحْرِ يَبْغُونَ فَضْلَهُ \*\*\* وَإِحْيَاءَ نُسْكَ مِنْ أَبِيهِمْ يُعْظَمُ

ثُمَّ قَالَ:

فَلَوْ كَانَ يُرْضِي اللَّهَ نَحْرُ نَفْسِهِمْ \*\*\* لَدَانُوا بِهِ طَوْعًا وَلِلْأَمْرِ سَلَمُوا

كَمَا بَدَلُوا عِنْدَ الْجِهَادِ نُحُورَهُمْ \*\*\* لِأَعْدَائِهِ حَتَّى جَرَى مِنْهُمْ الدَّمُ

وَلَكِنَّهُمْ دَانُوا بِوَضْعِ رُؤُوسِهِمْ \*\*\* وَذَلِكَ ذُلٌّ لِلْعَبِيدِ وَمَيْسَمٌ

يعني أن هؤلاء نزلوا شعور رؤوسهم تعظيماً لله ، فإن حلق الرأس لا شك إنه تعظيم ، بل إن العسكر  
الآن إذا مرّ بهم من يُعْظَمُونَهُمْ خَلَعُوا مَا فَوْقَ رُؤُوسِهِمْ مِنَ الْقُلَنَسَوَاتِ تَعْظِيماً لَهُ ، فَهَذَا تَعْظِيمٌ لِلَّهِ ،  
وَلَوْ رَضِيَ اللَّهُ مِنْهُمْ أَنْ يَحْلِقُوا نَفْسَهُمْ لَحَلَقُوهَا ، يَعْنِي لَذَبَحُوا أَنْفُسَهُمْ ؛ انْظُرْ إِلَى إِبْرَاهِيمَ - عَلَيْهِ  
الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - لَمَّا أَمَرَهُ اللَّهُ تَعَالَى أَنْ يَقْتُلَ ابْنَهُ - يَذْبَحُهُ - مَاذَا صَنَعَ ؟

امْتَثَلْ ؛ مَعَ أَنَّهُ لَيْسَ لَهُ ابْنٌ سِوَاهُ ، وَقَدْ جَاءَهُ عَلَى كِبَرٍ ، وَلَكِنَّهُ امْتَثَلُ لِلْأَمْرِ اللَّهِ ، اسْتَغْلَمَ ، إِلَّا أَنَّ  
رَحْمَةَ اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - أَدْرَكَتْهُ ، فَأَوْحَى اللَّهُ تَعَالَى إِلَيْهِ ، أَنْ يَفْدِيَهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ ، وَأَتَاهُ أَجْرُهُ كَامِلاً ،  
وَبَنُو إِسْرَائِيلَ لَمَّا قِيلَ لَهُمْ فِي التَّوْبَةِ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ، قَتَلُوا أَنْفُسَهُمْ ، أَخَذُوا السَّكَاكِينَ وَاجْتَمَعُوا ثُمَّ  
صَارَ بَعْضُهُمْ يَقْتُلُ بَعْضاً تَحْقِيقاً لِلتَّوْبَةِ .

الْمُؤْمِنُونَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ رَضِيَ مِنْهُمْ أَنْ يَقْتُلُوا أَنْفُسَهُمْ لَكَانُوا يَقْتُلُونَهَا ، يَعْنِي لَوْ قَالَ لَكَ رَبُّكَ: اقْتُلْ نَفْسَكَ ،  
فَمُقْتَضَى الْإِيمَانِ أَنْ تَقُولَ: سَمِعًا وَطَاعَةً وَتَقْتُلَ نَفْسَكَ ؛ ثُمَّ ضَرَبَ الْمُؤَلِّفُ مَثَلًا قَالَ:

## كما بذلوا عند الجهاد نَحورَهُمْ \*\*\* لأعدائِهِ حَتَّى جَرَى مِنْهُمْ الدَّمُ

المؤمن حقاً المحب لله المعظم له لا يهمله أن يُقدّم نَحْرَهُ لعدوه وعدو ربه ،إِعْلَاءً لكلمة الله عز وجل فهم بذلوا نَحورَهُمْ لأعدائِهِ حَتَّى جَرَى مِنْهُمْ الدَّمُ ، حتى إن الواحد منهم إذا طُعِنَ قال: فُزْتُ ورب الكعبة، ويرى أن هذا فوز ، وهو والله فوز ، لأنه ينتقل من حياة الصخب والندم والتعب والحزن والتغصيص والتكدير إلى دار فيها ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر<sup>(١)</sup> ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ ۖ عِنْدَ مَنْ عِنْدَ اللَّهِ ۖ عِنْدَ رَبِّهِمْ ۖ﴾ وهذه الربوبية الخاصة ، إضافة خاصة لم ينلها إلا مَنْ كان مثلهم أو أعلى منهم ﴿عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران - ١٦٩] حيُّ يُرْزَقُ ؛ روحهم [أرواحهم] في أجواف طير خضر<sup>(٢)</sup> ] كما هو من فضله[تسرح في الجنة وتأكل حيث شاءت ثم تأوي إلى قناديل مُعلّقة تحت العرش ، هذا فضل عظيم ، لما خرجت أنفسهم من هذه الأجساد الذائبة الترابية ، جُعِلَتْ في أجساد طير أخضر يسرح في الجنة حيث شاء ، فلذلك قتلهم في سبيل الله فوزٌ لهم ﴿فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (١٧٠) يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةِ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران - ١٧٠-١٧١] .

( ١ ) رواه البخاري(٣٠٧٢) ومسلم(٢٨٢٤) وابن ماجه (٤٣٢٨) وابن حبان(٣٦٩) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال:قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (قال الله تعالى: أعددت لعبادي الصالحين، ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر). فاقروا إن شئتم: ﴿فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين﴾ .

( ٢ ) رواه مسلم(١٨٨٧) والدارمي(٢٤١٠) وابن ماجه(٢٨٠١) واللفظ لمسلم عن مسروق قال: سألنا عبد الله (هو ابن مسعود) عن هذه الآية: ﴿ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون﴾ [٣ آل عمران/١٦٩] قال: أما إنا سألنا عن ذلك . فقال (أرواحهم في جوف طير خضر . لها قناديل معلقة بالعرش . تسرح من الجنة حيث شاءت . ثم تأوي إلى تلك القناديل . فاطلع إليهم ربهم اطلاعة . فقال: هل تشتهون شيئاً ؟ قالوا: أي شيء نشتهي ؟ ونحن نسرح من الجنة حيث شئنا . ففعل ذلك بهم ثلاث مرات . فلما رأوا أنهم لن يتركوا من أن يسألوا ، قالوا: يا رب ! نريد أن ترد أرواحنا في أجسادنا حتى نقتل في سبيلك مرة أخرى . فلما رأى أن ليس لهم حاجة تركوا) .

قال:

وَلَكِنَّهُمْ دَانُوا بَوْضِعَ رُؤُوسِهِمْ \*\*\* وَذَلِكَ ذُلٌّ لِلْعَبِيدِ وَمَيْسَمٌ

أي علامة ميسم :يعني علامة على الذل ؛ ثم قال:

وَلَمَّا تَقَضُّوا ذَلِكَ التَّقَتَ الَّذِي \*\*\* عَلَيْهِمْ وَأَوْفُوا نَذْرَهُمْ ثُمَّ تَمَمُوا

دعاهم إلى البيت العتيق زيارة \*\*\* فيا مرحبًا بالزائرين وأكرم

قال " ذلك التفت " ، يعني أنهم تحللوا ، وقصوا أظفارهم وما ينبغي قصه من الشعور وإزالته ، وأوفوا النذر بذبح الأنساك ، تيمموا ثم تمموا .

دعاهم إلى البيت العتيق زيارة \*\*\* فيا مرحبًا بالزائرين وأكرم

دعاهم من ؟ الله - عز وجل - ( إلى البيت العتيق ) ، العتيق: القديم ، وقيل العتيق: الذي يعتق من النار من طاف حوله ، وقوله:

فَلِلَّهِ مَا أَبْهَى زِيَارَتَهُمْ لَهُ \*\*\* وَقَدْ حَصَلَتْ تِلْكَ الْجَوَائِزُ تُقَسَّمُ

"لله ما أبهى" هذه كلمة تعجبية كقول العرب ( لله دره ) ، ( ما أبهى ) من البهاء والحسن . ( وقد حصلت تلك الجوائز تُقسم ) .

وَلِلَّهِ إِفْضَالٌ هُنَاكَ وَنِعْمَةٌ \*\*\* وَبِرٌّ وَإِحْسَانٌ وَجُودٌ وَمَرْحَمٌ

هذا طواف الإفاضة ، ثم قال:

وَعَادُوا إِلَى تِلْكَ الْمَنَازِلِ مِنْ مَنَى \*\*\* وَنَالُوا مِنْهَا هُمْ عِنْدَهَا وَتَنَعَّمُوا

هذا الرجوع من طواف الإفاضة يوم العيد للمبيت في منى، ولهذا قال:

أَقَامُوا بِهَا يَوْمًا وَيَوْمًا وَثَالِثًا \*\*\* وَأُذِّنَ فِيهِمْ بِالرَّحِيلِ وَأُغْلِمُوا

أقاموا بها يومًا أي يوم ؟ الظاهر أنه أول يوم التشريق و( يوما ) الثاني و( ثالثا ) الثالث .

وَرَاخُوا إِلَى رُمَى الْجِمَارِ عَشِيَّةً \*\*\* شَعَارُهُمُ التَّكْبِيرُ وَاللَّهُ مَعَهُمْ

يعنى بعد الزوال في اليوم الحادي عشر والثاني عشر والثالث عشر. "شعارهم التكبير والله معهم  
"يعنى يكبرون ولا يلبون لأن التلبية انقطعت عند رمى جمرة العقبة يوم العيد ما في تلبية بعدها ، فيها  
التكبير لأن أيام التشريق أيام أكل وشرب وذكر الله - عز وجل - .

فلو أبصرت عيناك موقفهم بها \*\*\* وقد بسطوا تلك الأكتف ليرحموا  
ينادونه يا رب يا رب إنا \*\*\* عبيدك لا ندعو سواك وتعلم  
وها نحن نرجو منك ما أنت أهله \*\*\* فأنت الذي تُعطي الجزيل ونُعم

ويعنى بهذا الدعاء ما بين الجمرتين الأولى والوسطى، والوسطى وجمرة العقبة.

ولما تقضوا من منى كل حاجة \*\*\* وسالت بهم تلك البطاح تقدموا  
إلى الكعبة البيت الحرام عشية \*\*\* فطافوا بها سبعا وصلوا وسلموا  
ولما دنا التوديع منهم وأيقنوا \*\*\* بأن التداني حبله متصرم  
ولم يبق إلا وقفة لمودع \*\*\* فله أجفان هناك تسجّم

هذا طواف الوداع ، كأن المؤلف يريد أن يسوق صفة الحج على صفة ما فعله رسول الله - صلى الله  
عليه وسلم - فإن النبي - صلى الله عليه وسلم - لما رمى الجمرات يوم الثالث عشر بعد الزوال نزل  
إلى مكة وأقام في الأبطح الحصب<sup>(١)</sup> . فصلى الظهر والعصر والمغرب والعشاء ثم رقد رقدة ولما كان  
في آخر الليل أذن بالرحيل فارتحلوا من الأبطح إلى مكة وطاف للوداع ثم صلى الصبح هناك؛ ثم

---

( ١ ) قال الإمام النووي رحمه الله في شرح مسلم ( باب استحباب نزول الحصب يوم النفر وصلاة الظهر وما بعدها به ) " ذكر مسلم في هذا

الباب الأحاديث في نزول النبي صلى الله عليه وسلم بالأبطح يوم النفر وهو الحصب "

قال الشيخ العثيمين في شرح حديث جابر رضي الله عنه في صفة حجة النبي - صلى الله عليه وسلم - ذكر في الحاشية ص ١٠٨ :

الحصب : بالضم ثم الفتح وصاد مهملة ، اسم مفعول من الحصباء أو الحصب وهو الرمي بالحصى وهي صغار الحصى وكباره ، وهو

موضع فيما بين مكة ومنى وهو إلى منى أقرب ( معجم البلدان ٧٤/٥ ) . وقد عرفه الشيخ البسام رحمه الله بقوله : المراد به هنا وادي

إبراهيم المنحدر من أعلى مكة والخارج من أسفلها ، فحده من المنحنى إلى مقبرة الحجون ( المعلا ) ويسمى الأبطح والبطحاء

ركب راجعا إلى المدينة - صلوات الله وسلامه عليه - لأنه قضى حاجته وانتهى الحج ، وهو ما جاء إلا للحج ؛ يقول المؤلف:

ولله أكبادُ هنالك أُودِعَ الـ \*\*\* غرامُ بها فالنارُ فيها تَضَرَّمُ  
ولله أنفاسٌ يكادُ بِحَرِّها \*\*\* يذوبُ المحبُّ المُسْتَهَامُ المُتِمُّ  
فلم ترَ إلا باهتا مُتَحَيِّرًا \*\*\* وآخرُ يُبْدي شجوهَ يَرْتَمُ  
رَحَلْتُ وأشواقِي إليكم مُقِيمَةً \*\*\* ونارُ الأَسَى مِنِّي تُشْبُ وتَضَرَّمُ  
أودِعُكم والشوقُ يُبْني أعنِّي \*\*\* وقلبي أَمْسَى في حِمَاكم مُخَيَّمُ

الله أكبر ؛ هذا تصوير عجيب لحال الإنسان عند طواف الوداع كيف يكون في هذه الحال قلبه مربوط بالبيت ، أشواقه لا تعداه ، ولكن لابد من الفراق .

هنالك لا تُشربَ يوماً على امرئٍ \*\*\* إذا ما بدا منه الذي كان يَكُفُّ

يكنم من ماذا [إيش] ؟ من الأشواق والأحزان لفراق البيت ، وطبعاً في العادة أن مثل هذا يلحقه البكاء فهذه حاله عند فراق البيت . وإذا قست هذه الحال التي صورها المؤلف - رحمه الله - مجالنا اليوم وجدت الفرق العظيم بيننا وبين هذه الحالة التي ذكرها المؤلف ؛ فغالب الناس ببغاوات خلف هؤلاء المطوف [المطوفين] "اللهم ، اللهم " ولا يدرى ماذا يقول ولأما يقال له !! ، أحياناً يُحَرِّف المطوف الكلم عن مواضعه ، وذلك يحرف معه [ماشى] ، يأتي في أيام العمرة "اللهم اجعله حجا مبروراً وذنباً مغفوراً" ، ما أدري أهو متطلع على حديث عمر بن حزم ، أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - "سمي العمرة حجا أصغر"<sup>(١)</sup> ، أو أنه على الأصل ، وأمثال هذا ؛ لكنهم بدؤوا الآن ،

---

( ١ ) رواه البيهقي والدارقطني (٢٢٢) عن بن عمرو بن حزم عن أبيه عن جده أن النبي صلى الله عليه وسلم كتب إلى أهل اليمن كتاباً

وبعث به مع عمرو بن حزم فيه "وان العمرة الحج الأصغر ولا يمس القرآن إلا طاهر" وله عن ابن عباس قال : "الحج الأكبر يوم النحر والحج

الأصغر العمرة" وقد ساق ابن حبان (٦٥٥٩) نص كتاب رسول الله إلى أهل اليمن كاملاً ؛ وكذلك رواه الحاكم في مستدركه (١٤٤٧) .

يعني خفضوا [الأمر]، اللهم اجعلها عمرة مقبولة، كأنهم نُبهوا على هذا، لكن الحاج المسكين أحيانا لا يدري ماذا يقول، أحيانا ما يدري، لو أنك تستمع إليهم وهم ينقلون هذه الكتيبات ويدعون، لسمعت العجب العجيب .

أقول أن من تصور هذه الحال التي ذكر المؤلف - رحمه الله - وقرنها بأحوالنا اليوم لوجد الفرق العظيم قال المؤلف:

فَيَا سَائِقِينَ الْعِيسَ بِاللَّهِ رَبِّكُمْ \*\*\* قِفُوا لِي عَلَى تِلْكَ الرَّبُوعِ وَسَلِّمُوا  
وَقُولُوا مُجِبُّ قَادَهُ الشُّوقُ نَحْوَكُمْ \*\*\* قَضَى نَجْبَهُ فَيْكُمْ تَعِيشُوا وَتَسْلُمُوا  
العيس الإبل ؛ "وقولوا مُجِبُّ قَادَهُ الشُّوقُ نَحْوَكُمْ قَضَى نَجْبَهُ "أي حاجته" فيكم تعيشوا وتسلموا"  
قضى نجبه يعني هلك فقضى حاجته من الدنيا .

قَضَى اللَّهُ رَبُّ الْعَرْشِ فِيمَا قَضَى بِهِ \*\*\* بَأَنَّ الْهَوَى يُعْمِي الْقُلُوبَ وَيُبْكِمْ  
صحيح ؛ الإنسان الذي له هوى تجده أعمى وأبكم، أعمى لا يرى الحق، وأبكم لا ينطق بالحق،  
صاحب الهوى - والعياذ بالله -، ولهذا لا يؤمن أحدنا حتى يكون هواه تبعا لما جاء به الرسول -  
صلى الله عليه وسلم - (١) قال :

وَحُبُّكُمْ أَصْلُ الْهُدَى وَمَدَارُهُ \*\*\* عَلَيْهِ وَفَوْزٌ لِلْمُحِبِّ وَمَغْنَمُ  
وَتَقْنَى عِظَامِ الصَّبِّ بَعْدَ مَمَاتِهِ \*\*\* وَأَشْوَاقُهُ وَقَفْتُ عَلَيْهِ مُحَرَّمُ  
الصب معناه الحب، ومنه الصباية، والصباية يعني الحب الذي يميل صاحبه إلى محبوبه كأنما يتصبب  
الماء من العالي .

---

( ١ ) قال ابن حجر في فتح الباري (شرح صحيح البخاري) حديث أبي هريرة "لا يؤمن أحكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به  
"أخرجه الحسن بن سفيان وغيره ورجاله ثقات وقد صححه النووي في آخر الأربعين .

فَيَا أَيُّهَا الْقَلْبُ الَّذِي مَلَكَ الْهَوَىٰ \*\*\* أَرَمْتَهُ حَتَّى مَتَى ذَا التَّلَوُّمِ

الآن بدأ يخاطب نفسه، يخاطب قلبه الذي ملك الهوى أزمته يعني جمع زمام، وهو ما تُقاد به البعير.

وَحَتَّى مَلَا تَصْحُوْ وَقَدْ قَرُبَ الْمَدَى \*\*\* وَدُنْتُ كُؤُوسُ السَّيْرِ وَالنَّاسُ نَوْمٌ

يعني لماذا لا تصحوا والمدى قد قُرب ويعني به الموت ودُنْتُ كؤوس السير يعني قُربت والناس نَوْمٌ، فكأنه يحث نفسه على انتهاز الفرصة والعمل قبل أن يدنوا الأجل؛ ثم قال :

بَلَى سَوْفَ تَصْحُو حِينَ يَنْكَشِفُ الْغَطَاءُ \*\*\* وَيَبْدُو لَكَ الْأَمْرُ الَّذِي أَنْتَ تَكْتُمُ

بلى هذه للإضراب ، وهذا كقوله تعالى في سورة المؤمنون ﴿ بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ مِنْ هَذَا وَلَهُمْ أَعْمَالٌ مِنْ دُونِ ذَلِكَ هُمْ لَهَا عَامِلُونَ ﴾ [المؤمنون - ٦٣] ، وكقوله في سورة ق ﴿ لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴾ [ق - ٢٢] ؛ ولكن هل ينفع هذا الانكشاف في ذلك اليوم ؟ لا ؛ لأن ذلك اليوم يوم جزاء وليس يوم عمل <sup>(١)</sup> قال:

وَيَا مُوقِدًا نَارًا لِّغَيْرِكَ ضَوْوُهَا \*\*\* وَحَرًّا لِّظَاهَا بَيْنَ جَنَّتَيْكَ يُضْرِمُ

أهذا جَنَى العلم الذي قد غرسته \*\*\* وهذا الذي قد كُتت ترجوه يُطْعِمُ

يعني يخاطب عالماً لم ينتفع بعلمه موقداً ناراً وضوؤها لغيره ، وحرها بين جنبيه، فغيره منتفع بعلمه وهو لم ينتفع بعلمه يقول "أهذا جَنَى العلم الذي قد غرسته ؟" أن تنفع الناس بعلمك ولا تنفع نفسك ، وهذا الاستفهام استفهام إنكار .

---

( ١ ) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه عن علي - رضي الله عنه - قال : "إنما أخاف عليكم اثنتين : طول الأمل ، وأتباع الهوى ، فإن طول الأمل ينسي الآخرة ، وإن أتباع الهوى يصد عن الحق وإن الدنيا قد ترحلت مدبرة ، وإن الآخرة مقبلة ولكل واحدة منهما بنون فكونوا من أبناء الآخرة ، فإن اليوم عمل ولا حساب ، وغدا حساب ولا عمل" وقد ذكره ابن حجر في فتح الباري شرح صحيح البخاري " باب في الأمل وطوله " . .



قال:

وهذا هو الخطُّ الذي قد رَضِيَتْهُ \*\*\* لِنَفْسِكَ فِي السَّادِرَيْنِ جَاءَ وَدَرَهُمْ !!

الله أكبر - كل حظوظ الدنيا تعود إلى هذين الأمرين ، كما قال المؤلف جاءَ ودرهم ؛ كثير من الناس ولو كان عالماً لا يرضى من علمه إلا أن يكون له جاه بين الناس ، أو إنسان يحب المال فيجمع المال بعلمه ، وكلا الإرادتين إرادة خسيصة مذمومة ، لأن العالم لا ينبغي له أن يكون همه أن يكون له جاه أو ليس له جاه ينبغي أن يكون همه أن تكون كلمة الله هي العليا لأنه مجاهد في سبيل الله ، أما كون مُكرم عند الناس أو ما يُكرم ؟ هذا إنما يسعى له من يريد النفع الذاتي لنفسه فقط ، وهو في الحقيقة ما أراد النفع ؛ لأن النفع الحقيقي بعلمك أن تصل به وجه الله ، وإعلاء كلمته حتى تكون شريعة الله هي المتمكنة في أرض الله ؛ قال:

وهذا هو الرِّيحُ الذي قد كَسَبَتْهُ \*\*\* لَعَمْرُكَ لَا رِيحٌ وَلَا الْأَصْلُ يُسَلِّمُ

صحيح ما في ريح ، إنسان ما ربح من علمه إلا جاهاً في الدنيا أو درهماً ما ربح في الحقيقة ؛ الذي لا يربح من علمه درجات عند الله - عز وجل - فهو خاسر ، القرآن حجة لك أو عليك <sup>(١)</sup> ، نسأل الله أن يخلص لنا ولكم النية ؛ يقول: "لَعَمْرُكَ لَا رِيحٌ وَلَا الْأَصْلُ يُسَلِّمُ" ؛ ما حصل ربح والأصل ما سلم لأنه جاء في الحديث عن الرسول عليه الصلاة والسلام أن من طلب علماً وهو مما يُبتغى به وجه الله لا يريد إلا أن ينال عرضاً من الدنيا لم يربح رائحة الجنة <sup>(٢)</sup> ، نعوذ بالله فالأمر خطير .

---

( ١ ) رواه مسلم في صحيحه وقد أورده الإمام النووي ضمن الأربعين النووية فقال عن أبي مالك الحارث بن عاصم الأشعري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «الطُّهُورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمَلُّ الْمِيزَانَ، وَتُسَبِّحَانَ اللَّهَ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمَلَّانِ - أَوْ: تَمَلُّا - مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، وَالصَّلَاةُ نُورٌ، وَالصَّدَقَةُ بُرْهَانٌ، وَالصَّبْرُ ضِيَاءٌ، وَالْقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ. كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو؛ فَبَائِعٌ نَفْسَهُ، فَمَغْنَمَتُهَا، أَوْ مُوتِمَتُهَا» .

( ٢ ) رواه ابن حبان (٧٨) وأبي يعلى في مسنده (٦٣٧٣) وأبو داود (٣٦٦٤) كتاب العلم ؛ عن أبي هريرة قال:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من تعلم علماً مما يبتغى به وجه الله [عز وجل] لا يتعلمه إلا ليصيب به عرضاً من الدنيا لم يجد عرف الجنة يوم القيامة" يعني ربحها .

قال :

بَخِلْتَ بِشْيٍ لَا يَضُرُّكَ بَذْلُهُ \*\*\* وَجُدْتَ بِشْيٍ مِثْلُهُ لَا يُقَوِّمُ

ثم فسر، قال :

بَخِلْتَ بِذَا الْحِظِّ الْخَسِيسِ دَنَاءَةً \*\*\* وَجُدْتَ بِذَارِ الْخُلْدِ لَوْ كُنْتَ تَفْهَمُ

هذه "لو" للتمني يعني ليتك تفهم ؛ بَخِلَ بِشْيٍ لَا يَضُرُّهُ بَذْلُهُ ماهو ؟ الدنيا ؛ الدنيا لو تذهب كلها عنك ما تضررك . "وَجُدْتَ بِشْيٍ مِثْلُهُ لَا يُقَوِّمُ" وهو الجنة والآخرة يوم الفضل - هذه لَا يُقَوِّمُ - ، لا يمكن أن يكون قيمة لها كل الدنيا ، ، قال النبي عليه الصلاة والسلام " لِمَوْضِعِ سَوَاطِئِ أَحَدِكُمْ فِي الْجَنَّةِ خَيْرٌ مِنْ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا " أخرجه الإمام أحمد من حديث المستورد ابن شداد<sup>(١)</sup> ؛ لموضع سوط أحدكم في الجنة خير من الدنيا وما فيها ، شوف موضع السوط كم مقداره ؟ متر مثلاً خير من الدنيا أي دنيا ؟ ليست دنياك التي تعيشها ولا دنيا عصر ؛ بل الدنيا كلها من أولها إلى آخرها موضع سوط في الجنة خير من الدنيا وما فيها ، كل الذين يسعون للجاه أو يسعون للمال ماذا يصيبهم هو إن حصلوا عليه - الجاه أو المال - وكل هذا لا يساوي شيئاً عند الله - عز وجل ؛ فما بالناس نهيم هذا الصرح العظيم صرح العلم بهذه النية الدينية فالواجب أن يُصحح الإنسان نيته في طلب العلم وهذا من الآداب [يا أحمد ؟] نعم من الآداب ومن الآداب أيضاً أن لا يسرح الطالب وهو في مكان الطلب . يقول:

وَبُعْتَ نَعِيمًا لَا انْقِضَاءَ لَهُ وَلَا \*\*\* نَظِيرَ بَخْسٍ عَنْ قَلِيلٍ سَيُعْدَمُ

صح وهو نعيم الجنة لا انقضاء له، ولا نظير له قال الله تعالى ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ ﴾ [السجدة - ١٧] ، وقال النبي صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى : أعددت لعبادي الصالحين ما لا

( ١ ) رواه الدارمي (٢٨٢٠) عن أبي هريرة ، وأحمد في مسنده من حديث سهل بن سعد الساعدي قال: قال رسول الله صلى الله عليه

وسلم "لغدوة في سبيل الله أو روحه خير من الدنيا وما فيها ولموضع سوط أحدكم في الجنة خير من الدنيا وما فيها" .

عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر<sup>(١)</sup>، وقال ابن عباس ليس شيء في الجنة مما في الدنيا إلا الأسماء رمان وورمان لكن فرق، فرق عظيم.

**فَهَلَا عَكَسْتَ الْأَمْرَ إِنْ كُنْتَ حَازِمًا \*\*\* وَلَكِنْ أَضَعْتَ الْحَزْمَ لَوْ كُنْتَ تَعْلَمُ**

هلا هنا للتحريض يعني يحضنا المؤلف - رحمه الله - على أن نعكس الأمر كيف نعكس ؟ نجود بشيء لا يضرنا بدله ونبخل بشيء مثله لا يُقَوِّمُ نغض عليه بالنواجذ ؛ كذلك أيضا نبيع الشيء الخسيس الدنيء بشيء لا نظير له ولا نفاذ .

**فَهَلَا عَكَسْتَ الْأَمْرَ إِنْ كُنْتَ حَازِمًا \*\*\* وَلَكِنْ أَضَعْتَ الْحَزْمَ لَوْ كُنْتَ تَعْلَمُ**

**وَتَهْدِمُ مَا تَبْنِي بِكَفِّكَ جَاهِدًا \*\*\* فَأَنْتَ مَدَى الْأَيَّامِ تَبْنِي وَتَهْدِمُ**

صحيح ، هذا حال من أضاع نفسه يبنى ويهدم ، ماهو بالبناء الحسي !! البناء المعنوي ؛ تجده هذه طاعة وهذه معصية هذا ظلم وهذا فساد وهذا صلاح وهذا عدل وهكذا ، يبنى ما يهدم ويهدم ما يبنى دائما فهو يقول فأنت مدى الأيام تبنى وتهدم .

**وَعِنْدَ مُرَادِ اللَّهِ تَفْنَى كَمَيْتٌ \*\*\* وَعِنْدَ مُرَادِ النَّفْسِ تُسَدِّي وَتُلْحِمُ**

الله أكبر - عند مراد الله شرعاً وإلا قدراً ؟ شرعاً ؛ عند مراد الله شرعاً ، يعني عند الذي يريد الله منك شرعاً تفنى كميته ؛ يعني لا تتحرك يأمرك الله فلا تأتمر ينهك فلا تنتهي ؛ "وعند مراد النفس تُسَدِّي وَتُلْحِمُ" ، السدى واللحمة هذا في الذين يأخذون الغزل وينسجونهم ؛ النسيج له سدى ولحمة وإذا جعل في النسيج السدى واللحمة صار نسيجاً محكماً ، فعند مراد النفس تنسج تماماً من أحسن ما يكون ، لكن عند مراد الله تفنى كميته .

**وَعِنْدَ خِلَافِ الْأَمْرِ تَحْتَجُّ بِالْقَضَاءِ \*\*\* ظَهيراً عَلَى الرَّحْمَنِ لِلْجَبْرِ تَرْغُمُ**

عند خلاف أمر من ؟ أمر الله ؛ إذا خالفت أمر الله قلت هذا والله قضاء وقدر، أشركت قلت والله هذا قضاء وقدر، زنى قال هذا قضاء وقدر، شرب الخمر قال هذا قضاء وقدر "ظهيراً على الرحمـ انـ للجبرِ تَزْعُمُ " ظهيراً: يعني مُعيناً عليه ؛ يعني تحتج على الله بقضائه فكأنك تقيم الحجة على ربك فتقول يا ربي أجبرتني .

تُزْهِنُكَ مِنَ الْنَفْسِ عَنْ سُوءِ فِعْلِهَا \*\*\* وَتَعْتَبُ أَقْدَارَ الْإِلَهِ وَتَظْلِمُ

النفس تُنزها تقول أنا ما أبي الظلم ، لكن هذا القضاء والقدر هو اللي خلاني أظلم هو اللي خلاني أكذب أسرق ... إلخ ، وهذه حال كثير من الناس عند فعل المعاصي من أهل الجبر وعند فعل الطاعات قدري ، جبري عند المعاصي قدري في الطاعات ، ما [وايش] معنى ذلك ؟  
القدرية يقولون إن الإنسان مستقل بعمله ما لله فيه دخل، ما يدخل الله في عمله ، فإذا فعل الطاعة قال هذا مني ، وفخر بها على الله - عز وجل - وإذا فعل المعصية قال هذا من الله ، فهو مُجبر فيكون جبriاً في المعاصي قدرياً في الطاعات ولهذا قال :

تُزْهِنُكَ مِنَ الْنَفْسِ عَنْ سُوءِ فِعْلِهَا \*\*\* وَتَعْتَبُ أَقْدَارَ الْإِلَهِ وَتَظْلِمُ

تَحُلُّ أُمُوراً أَحْكَمَ الشَّرْعُ عَقْدَهَا \*\*\* وَتَقْصِدُ مَا قَدْ حَلَّهُ الشَّرْعُ تُبْرِمُ

هذه المعاكسة التامة ، الأمور التي أبرمها الشرع تحلها ، وما أحله الشرع تُبرمه ، ففي الواجبات التي أحكمها الشرع وأمر بها ، تذهب تحلها وتفكك عقدها ، في المحرمات تُضيع ولا يهكم ما حرمه الشارع فأنت في الواقع مخالف لأمر الشارع في النهي والأمر .

تَحُلُّ أُمُوراً أَحْكَمَ الشَّرْعُ عَقْدَهَا \*\*\* وَتَقْصِدُ مَا قَدْ حَلَّهُ الشَّرْعُ تُبْرِمُ

وَتَفْهَمُ مِنْ قَوْلِ الرَّسُولِ خِلَافَ مَا \*\*\* أَرَادَ لِأَنَّ الْقَلْبَ مِنْكَ مُعْجَمٌ

يقول إن هذا من صفات الإنسان أن الأمور التي أحكمها الشرع وعقدها يخلها ؛ والحل هنا ضد العقد فيفعل ما نهى الله عنه ، ويقصد ما قد حله الشرع يرمه ويمتنعه ؛ كأنما يقول هذا حلال لما حرم الله ، وهذا حرام لما أحل الله - عز وجل - فلا يتبع الشرع .

### وتفهم من قول الرسول خلاف ما \*\*\* أراد لأن القلب منك معجم

إذا قال النبي - عليه الصلاة والسلام - قولاً فإنك تفهم منه خلاف ما أراد ، وأهل الباطل بالنسبة لأقوال الرسول - عليه الصلاة والسلام - يسعون أولاً إلى إبطالها والشك في ثبوتها ، فيقولون مثلاً هذه أخبار آحاد لا تفيد القطع ، فلا يجوز أن نبني العقيدة عليها ، وردوا بناءً على هذه القاعدة الفاسدة الدائرة الخاربة ، ردوا أشياء كثيرة من أحاديث الصفات الذاتية والفعلية بناءً على ماذا [إيش] ؟ على أنها أخبار آحاد لا تفيد القطع ، والعقيدة لابد فيها من القطع والظن ؛ كأنما نسوا قول الله - عز وجل - ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [النحل - ٤٣] . هذا مقام الرسالة ؛ مقام الرسالة عقيدة وإلا غير عقيدة ؟ عقيدة ، ومع ذلك قال إسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون ومن المعلوم أن خبر غيرك لا يفيد القطع عندك إنما يفيد الظن وغلبة الظن .

إذاً هذا أول مغول يهدمون به النصوص ، فإذا عجزوا عنها وكانت النصوص متواترة عمدوا إلى أمر آخر وهو التعطيل عن طريق التحريف ؛ التحريف أصوب من التأويل ، هم يقولون تأويل ونحن نقول تحريف ؛ لكنهم يقولون تأويلاً ليخف الأمر ؛ إذ لو قالوا إنه تحريف لنفر الناس منه وما قبلوا منهم صرفاً ولا عدلاً ، لكن يقولون تأويل من باب التلطيف ، ونحن نقول ليس هذا بتأويل ؛ لأن التأويل هو - أن يُفسر كلام الله ورسوله بما أراد الله ورسوله - هذا التأويل الحقيقي الصحيح ، أما أن يُحرّف فهذا تحريف ، فهم يفهمون من قول الرسول خلاف ما أراد الرسول - عليه الصلاة والسلام - لماذا ؟ لأن القلب والعياذ بالله معجم قد أعجم عليه فلا يفهم ؛ ولهذا يجب على الإنسان أن يكون دائماً يسأل الله تعالى أن يفتح عليه وأن يُصرف قلبه إلى طاعته .

ثم قال:

**مطیعٌ لداعي الغيِّ عاصٍ لرُشدِهِ \*\*\* إلى ربِّهِ يوماً يُردُّ ويُعلمُ**

يعني أن هذا الإنسان أيضاً يطيع داعي الغي ، ولكنه يعصى داعي الرُّشد ، والرشد في كل مقام يجمعه معنى واحد وهو - حُسن التصرف - وفي كل مقام بحسبه ، فالرشد حُسن التصرف ففي باب العبادة أن يقوم الإنسان بما أمر الله به ورسوله ويترك ما نهى الله عنه ورسوله ؛ في باب المال أن يبيع ويشترى ويؤجر ويستأجر بدون غبن ، وفي كل مقام بحسبه ، وأما الغي فهو ضد الرشد .

**مُضِيعٌ لأمرِ الله قد غَشَّ نفسه \*\*\* مُهِنٌ لها أنى يُحبُّ ويكرمُ**

صحيح أن الذي يُضِيع أمر الله غاش لنفسه أكبر غش ، لأنه يخذعها ويُمنّيها ويقول التوبة غداً نحن في مهلة وما أشبه ذلك ، فيهوي من حيث لا يدري .

**بطيٌّ عن الطاعاتِ أسرعُ للخنى \*\*\* من السيلِ في مجراه لا يتَّسَّمُ**

قوله لا يتَّسَّمُ يعني يأتي باندفاع واحد وكلما أتى السيل باندفاع واحد صار أقوى ، وكلما توزع وتفرق صار أخف أليس كذلك ؛ فهو يقول إنك بالنسبة للخنا وهو - الفساد والمعاصي والفجور - أسرع من السيل في مجراه ، وبالنسبة للطاعات بطي .

**وتزعم مع هذا بأنك عارفٌ \*\*\* كذبتَ يقيناً بالذي أنت تزعمُ**

هذه مشكلة ؛ المشكلة أن يتصف الإنسان بهذه الصفات القبيحة ثم يدّعي أنه عارف وهذا له نصيب من قوله تعالى ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴾ (١٠٣) الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَّهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿ [ الكهف - ١٠٤ ] وما ضاع الناس إلا بمثل هذا ؛ لو أن الإنسان

عرف نفسه وعرف أنه ضال وأنه ليس على هدى سهل عليه أن يتعدل ؛ لكن المشكل أن يبقى في غيّه [يا أحمد] <sup>(١)</sup>، ثم لا يظن أنه على خطأ وهذا هو البلاء .

وما أنت إلا جاهلٌ ، ثُمَّ ظالمٌ \*\*\* وإنك بين الجاهلين مُقدّمٌ

أظن المسألة واضحة، جاهل لا تعرف ، ظالم لا تعدل، ومن هنا يحصل الخلل وتضيع الأمانة كما قال الله - عز وجل - ﴿ وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ [الأحزاب - ٧٢] وهذا هو الذي ذكره المؤلف الجهل والظلم، بهما يكون الفساد ؛ فبالجهل لا يدري ما هو الحق حتي يتبعه ، وبالظلم يعلم ولكنه لا يعدل، بل يظلم .

إذا كان هذا نُصحَ عَبْدٍ لِنَفْسِهِ \*\*\* فَمَنْ ذَا الَّذِي مِنْهُ الْهُدَى يُعَلِّمُ ؟

الجواب : لا أحد ! إذا كان هذا هو النصح فلا أحد يتعلم من أحد .

وَفِي مِثْلِ هَذَا الْحَالِ قَدْ قَالَ مَنْ مَضَى \*\*\* وَأَحْسَنَ فِيمَا قَالَهُ ، الْمُتَكَلِّمُ

فَإِنْ كُنْتَ لَا تَدْرِي فَتِلْكَ مُصِيبَةٌ \*\*\* وَإِنْ كُنْتَ تَدْرِي فَالْمُصِيبَةُ أَعْظَمُ

صحيح ، إن كنت لا تدري فتلك مصيبة، ما هذه المصيبة ؟ الجهل ؛ وإن كنت تدري فالمصيبة أعظم ؟! الظلم، وهذا البيت حكمة ويقال في كل شيء ، أحيانا تقول تلوم شخصا علي مسألة ما ، فيقول والله ما دريت، فتقول إذا كنت لا تدري فتلك مصيبة وإن كنت تدري فالمصيبة أعظم .

وَلَوْ تُبْصِرُ الدُّنْيَا وَرَاءَ سُتُورِهَا \*\*\* رَأَيْتَ خَيْالًا فِي مَنَامٍ سَيُضْرَمُ

كَحُلْمٍ بِطَيْفٍ زَارٍ فِي النَّوْمِ ، وَاتَّقِضِي \*\*\* الْمَنَامُ ، وَرَاحَ الطَّيْفُ ، وَالصَّبُّ مُغْرَمٌ

وَضِلَّ أَرْتَهُ الشَّمْسُ عِنْدَ طُلُوعِهَا \*\*\* سَيُقْلَصُ فِي وَقْتِ الزَّوَالِ ، وَيُفْصَمُ

وَمُزْنَةُ صَيْفٍ طَابَ مِنْهَا مَقِيلُهَا \*\*\* فَوَلَّتْ سَرِيعًا ، وَالْحُرُورُ تَضْرَمُ

( ١ ) أحمد : أحد طلبة الشيخ الذين كانوا يحضرون محاضراته ، وسيأتي معنا ذكر بعض أسماء هؤلاء الطلبة أمثال:عادل وأبا الفضل

،وذلك لروح الدعاة التي عُرف بها الشيخ - رحمه الله - ورحم الله الجميع .

وَمَطْعَمٍ ضَيْفٍ لَدَىٰ مِنْهُ مَسَاغُهُ \*\*\* وَبَعْدَ قَلِيلٍ حَالُهُ ، تِلْكَ تُعْلَمُ  
كَذَا هَذِهِ الدُّنْيَا كَأَحْلَامٍ نَائِمٍ \*\*\* وَمَنْ بَعْدَهَا دَارُ الْبَقَاءِ سَتَقْدَمُ

- الله أكبر - هذه هي حال الدنيا ، شبهها المؤلف بعدة أمثلة ، "كحلم بطيف زار في النوم وانقضي المنام وراح الطيف والصب مُغرم" ، الإنسان رأي في المنام شيئاً أحبه أيا كان ، من بشر أو غيره ، ثم انقضي النوم ، وقلبه متعلق بما رأى ، لكن أني له ذلك ، هكذا الدنيا كأنها أحلام نائم ، وأنت الآن إذا تدبرت الأمر ، تدبر لما كنت صغيراً مع زملائك في السوق تفرح وتترجح ولا تذكر شيئاً ، تذكر من عندك في البيت أين ذهبوا وأين راحوا ، تذكر كل ما مضى تجد أنه كالحلم ، راح وكأنه لم يكن ، كأنها أحلام رأيته في البارحة أو في اقرب نومةٍ نمتها وذهبت ؛ اعتبر المستقبل بالماضي هذا المستقبل الذي تراه أمامك وكأنه آلاف السنين ، كأنك ستبقي آلاف السنين هذا سوف يزول كما زال ما مضى ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوُهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا﴾ [ النازعات - ٤٦ ] ، ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّنْ نَّهَارٍ﴾ [ الأحقاف - ٣٥ ] ، إلا ساعة ، ساعة من النهار هكذا الدنيا ؛ كذلك أيضا :

كَظِلٍّ أَرْتَهُ الشَّمْسَ عِنْدَ طُلُوعِهَا \*\*\* سَيَقْلَصُ فِي وَقْتِ الزَّوَالِ ، وَيُنْقَصُ

الظل طيب وبارد ولذيذ تربه الشمس الرائي إذا طلعت ، ثم كل ماذا ؟ ينقص ، عند الزوال يضمحل ويزول ، هكذا أيضا الدنيا عند الزوال تزول ، دار كهذه هل يليق بالعاقل فضلاً عن المؤمن أن يجعلها في قلبه أغلي من دار البقاء ؟ الجواب : لا والله ، ما يليق بعقل فضلاً عن مؤمن أن يجعلها في قلبه أغلي من دار البقاء ، أو ينظر إليها نظرة راغب فيها زاهد في الآخرة ؛ لأنه يري أمه وأباه وأخته وأخاه وولده وزوجه كلهم كانوا معه علي ظهر هذه الدنيا ثم زالوا وراحوا ودَعُوا خلصوا من الدنيا ، ما بقي إلا الجزاء فقط ؛ كأن لم يكونوا علي هذه الدنيا " بين يري الإنسان فيها مخبراً حتى يُري خبراً من الأخبار " هو في الدنيا مخبر ، يتحدث كان فلان وكان فلان وصحبت فلانا وزارني فلان وزرت فلانا ، يخبر عن مضي ، ثم سيكون هو الخبر ، سيقال زرنا فلاناً وزارنا فلان وجلسنا مع فلان وجلس معنا ، وهو في قبره مرتين



بعمله، هذه هو الحقيقة الواقعة في هذه الدنيا، فإذا كانت هذه هي الحقيقة الواقعة في هذه الدنيا فكيف نغالي فيها ، وكيف نُؤمّن البقاء ، وكيف نجعل ما نحصله منها أكثر في نفوسنا وأكبر مما نحصله للآخرة، وما ذلك إلا من جهلنا و ظلمنا قال:

**وَمُزَنَةٌ صَيْفٍ طَابَ مِنْهَا مَقِيلُهَا \*\*\* فَوَلَّتْ سَرِيعاً ، وَالْحُرُورُ تَضُرُّمُ**

هذا الإنسان في الفلاة في حر شديد - صيف - ، أظله الله تعالى بمزنة - قطعه من الغمام - بيضاء باردة ، والمزن كما نعرف جميعا يستقر وإلا يمشي ؟ يمشي ؛ هذه المزنة أظلته ساعة من الزمن ثم راحت ، فبقي عنده الحرور - يتضرم - هكذا الدنيا أيضاً وقد شبهها الرسول - عليه الصلاة والسلام - بأنها مثل الإنسان الذي قال في ظل دوحة ثم قام وتركها<sup>(١)</sup> ، قال فيها حتى صار آخر النهار وبرد الجو ثم قام فتركها ؛ قال:

**وَمَطْعَمٍ ضَيْفٍ لَدَيْهِ مَسَاغُهُ \*\*\* وَبَعْدَ قَلِيلٍ حَالُهُ ، تِلْكَ تُعَلِّمُ  
كَذَا هَذِهِ الدُّنْيَا كَأَخْلَامٍ نَائِمٍ \*\*\* وَمَنْ بَعْدَهَا دَارُ الْبَقَاءِ سَتَقْدَمُ**

والعجب أن هذا وصفها وهذه حقيقتها، ثم الإنسان لا يدري متى يرحل منها، هذا الغريب؛ أن تكون في نفوسنا إلى هذا الحد من الغلاء، ونحن لا ندري أي ساعة نجيب داعي الله - عز وجل - ، ما يدري الإنسان ؛ كل إنسان والله ما يستطيع أن يحكم بأنه سيدرك غداً، إذا أصبحت فلا تنتظر المساء وإذا

---

(١) عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: دخل عمر بن الخطاب رضي: الله تعالى عنه على النبي صلى الله عليه وسلم وهو على حصير قد أثر في جنبه فقال: يا رسول الله لو اتخذت فراشا أوثر من هذا فقال "ما لي وللدنيا وما للدنيا وما لي والذي نفسي بيده ما مثلي ومثل الدنيا إلا كراكب سار في يوم صائف فاستظل تحت شجرة ساعة من نهار ثم راح وتركها". قال الحاكم في مستدركه (٧٨٥٨) (هذا حديث صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه وشاهده حديث عبد الله بن مسعود ) وقد رواه عن ابن عباس احمد في مسنده وابن حبان(٦٣٥٢)؛ وروى الحديث عن عبد الله ابن مسعود " الترمذي(٢٤٨٣) وابن ماجه(٤١٠٩) وأحمد كذلك.

أُمسيت فلا تنتظر الصباح<sup>(١)</sup>، وهذه حقيقة ليست أحاديث مجالس، هذه حقيقة واقعة يا جماعة - واقعة - هل منكم أحد يستطيع أن يجزم بأنه سيعيش إلى غد ؟ أبداً؛ إذا مهما طابت الدنيا والله ليس فيها خير، إلا ما كان منها مزرعة للآخرة، فنعم الدار هي، كما قال الرسول - عليه الصلاة والسلام - في المال: " نعم المال الصالح عند الرجل الصالح "<sup>(٢)</sup>، " خيركم من طال عمره وحسن عمله "<sup>(٣)</sup>، إذا كان الإنسان يُعدها مزرعة للآخرة لا يقول قولاً ولا يفعل فعلاً ولا يدع شيئاً، إلا وهو يريد التقرب به إلى الله، حتى مكاملة إخوانه والأنس إليهم يتغي بذلك وجه الله، حينئذ تكون مزرعة للآخرة بل تكون جنة مقطعة ومقدمة من الآخرة، كما قال أحمد بن تيمية - رحمه الله - شيخ الإسلام لما أدخلوه في الحبس، قال : " ما يفعل أعدائي بي ؟ " يعني أي شيء يفعلون ؟ " إن جنني في صدري "، جنته في صدره - رحمه الله - علم وإيمان ونور وطمأنينة هذه هي الجنة [ يا أبا الفضل ]، والله ما هي بالجنة البستان التي إذا خرج الإنسان وإلا نخيل تهتز وفواكه وغيره، هذه جنة جسد لكن جنة القلب لا يعدلها شيء ؛ قال " جنني في صدري إن حبسي خلوه، ونفسي سياحة، وقتلي شهادة " - الله أكبر- شوف اليقين العجيب، - سبحان الله العظيم - هذا من يقين الرسل - عليهم الصلاة والسلام - ، لما خرج موسى بقومه، وأتبعهم

---

( ١ ) عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: أخذ رسول الله ﷺ بمنكبي فقال: "كن في الدنيا كأنك غريب، أو عابر سبيل" وكان ابن عمر رضي الله عنهما يقول: "إذا أُمسيت فلا تنتظر الصباح، وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء، وخذ من صحتك لمرضك، ومن حياتك لموتك" [رواه البخاري]؛ وقد ذكره النووي ضمن الأربعين النووية برقم (٤٠) .

( ٢ ) رواه ابن حبان (٣٢١٠) عن عمرو بن العاص قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - "يا عمرو نعم المال الصالح مع الرجل الصالح"؛ وقد ذكره ابن حجر في الفتح فقال ( وروى أحمد والبخاري في الأدب وصححه أبو عوانة وابن حبان والحاكم من طريق علي بن رباح عن عمرو بن العاص قال: بعث إلى النبي صلى الله عليه وسلم يأمرني أن آخذ ثيابي وسلاحي فقال "يا عمرو إني أريد أن أبعثك على جيش فيغنمك الله ويسلمك" قلت: أني لم أسلم رغبة في المال قال: "نعم المال الصالح للمرء الصالح" ؛ وقد ذكر في موضع آخر ما نصه ( أخرجه مسلم) .

( ٣ ) رواه الدارمي (٢٧٤٢) عن أبي بكر أن رجلاً قال : يا رسول الله أي الناس خير ؟ قال: " من طال عمره وحسن عمله " قال : فأبي الناس شر ؟ قال : " من طال عمره وساء عمله " .

فرعون بقومه وصاروا بين البحر وبين جنود فرعون، بين فرعون وجنوده، ماذا قال أصحاب موسى قالوا إنا لمدركون - خلاص البحر أمامنا إن خضناه غرقنا، وفرعون بجنوده خلفنا إن أدركنا أهلكنا - فقال بطمأنينة : كلا لسنا مدركين ﴿ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴾ [ الشعراء - ٦٢ ] ، الله أكبر، شوف اليقين في هذه الشدة، فأوحى الله أن يضرب البحر، فضربه فانقلب في الحال، ويس في الحال، ﴿ فَاضْرِبْ لَهُم طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا ﴾ [ طه - ٧٧ ]، فخرجوا كلهم عن آخرهم، ودخل فرعون بجنوده عن آخرهم، فأوحى رب العزة والجلال إلى هذا البحر أن انطبق، فانطبق على فرعون وجنوده فغرقوا، وأولئك نجوا- الله أكبر- اللهم ارزقنا الإيمان واليقين ؛ يعني من يصل إلى هذه الدرجة، إلا من من الله عليه، باليقين التام ؛ فأنا أقول أن الإنسان ينبغي له أن يجعل هذه الدنيا مزرعة للآخرة لينتفع منها .

الطيف :ما يطوف بالإنسان في النوم، مما يحبه من إنسان أو حيوان أو غيره .

يقول:

فَجَزُّهَا مَمَرًا لَا مَقَرًّا وَكُنْ بِهَا \*\*\* غَرِيْبًا تَعِشُ فِيهَا حَمِيدًا وَتَسْلَمُ

صحيح، هذه نصيحة من ابن القيم - رحمه الله - ، أن نجوز هذه الدنيا على أنها مر لا مقر، وأن نكون فيها غرباء، كالغريب الذي لا يريد الإستيطان، فإنك تعيش حميداً وتسلم، لكن البلاء كل البلاء أن يتخذها الإنسان مقراً وموطناً، لأنه إذا اتخذها مقراً وموطناً غفل عن الآخرة بلا شك، بأن يرى بأن هذه موطنه مع انه يوم القيامة يقول ﴿ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي ﴾ [ الفجر - ٢٤ ] ، ويقول الله عز وجل : ﴿ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ ﴾ [ العنكبوت - ٦٤ ] ، هي الحياة العظيمة الحقيقية، ولهذا جاءت ﴿ لَهِيَ الْحَيَوَانُ ﴾ أي الحياة الكاملة ، وهنا يقول "تَعْشُ فِيهَا حَمِيدًا وَتَسْلَمُ" .

أو ابن سبيل قال في ظِلِّ دَوْحَةٍ \*\*\* وراح وخلق ظلها يتقسم

اللهم قوّنا على ذلك .

أخا سَفَرٍ لَا يَسْتَقِرُّ قَرَارُهُ \*\*\* إِلَى أَنْ يَرَى أَوْطَانَهُ وَيُسَلِّمُ

فِيَا عَجَبًا ! كَمْ مَضْرَعٍ وَعَظَتْ بِهِ \*\*\* بَيْنَهَا وَلَكِنْ عَنْ مَصَارِعِهَا عَمُوا

صحيح، من العجب أن المصارع - مصارع الدنيا - التي وعظت به بنيتها كثيرة، ولكن عن مصارعها عموا، ولنأخذ أمثلة من هذا :

- ما أكثر ما نرى من الأغنياء يعودون فقراء؛ بينما يتكفف الناس إليهم أيديهم، صاروا يتكفون الناس، مثل هؤلاء الموت خير لهم من الحياة، لأنهم ذاقوا الذل بعد العز .

- كم من إنسان قوي العضلات في عنفوان شبابه، ونظر في وجهه، أصيب بمجاذب أهزله بعد السمن، واغبر وجهه بعد النظارة، وصار من رآه يرق له، ويحزن عليه، هذا صحيح ؟ نعم .

- كم من إنسان بنى وأمل وذهب خياله إلى زمن بعيد، ولكنه لم يسكن ما بنى .

- كم من إنسان غرس وحرث، يُؤمل أن يستمتع بشمات ما غرس وما زرع، ولكن يُحال بينه وبينها ؛ وخذ من هذه الأمثلة الكثيرة .

- كم أناس نحن علمناهم في عصرنا وسمعنا عنهم في ما سبقنا، كانوا كثرة مجتمعين، أخ مع أخيه مع أبنائهم مع بناتهم مع أهلهم، مجتمعين في بيت أو في بيوت متقاربة، لكنهم على أكثر ما يكون من الأنس والفرح والسرور، فإذا بهم يفرقون بموت أو مصائب، أو فقر، أو عدو، أو غير ذلك، أليس هذا واقعاً ؟ بلى، واقعاً وكثيراً، إذا لماذا لا تتعظ ؟

يجب علينا أن نتعظ بما تعظ به الدنيا بنيتها، كيف تتعظ ؟ ليس الإيتعاض معناه أن نبكي إذا ذكرنا هذه الأحوال، الإيتعاض أن نتخذ منها عبرة، وأن هذه الدنيا ليست دار مقر، وليست دار نعيم مقيم، وأن الآخرة هي دار المقر وهي دار النعيم المقيم، فنأخذ من هذه الدنيا ما نجعله سلماً للآخرة، كأنما تقدم الثمن لسلمة منتظرة، وحينئذ ترجع الدنيا والآخرة، ولا أحد أذ وأنعم عيشاً وأطيب قلباً وأهدأ بالاً ؛ لا أحد مثل المؤمن العامل للصالحات، قال تعالى ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْشِىْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ

حَيَاةً طَيِّبَةً ﴿ [النحل - ٩٧]؛ أنا أقول لكم هذا مع أنني مقصر، لكن أرجو أن يكون في كلامي خير وبركة لي ولكم .

يجب أن نلاحظ الأمر بدقة، ونعرف ماذا صنعنا، أين الإيمان الذي يحل في القلب حتى تتساوى عنده أقدار الله - عز وجل - ؟ الخير والشر من الله، يطمئن إليه - وإن كان الشر لا ينسب إلى الله تعالى، لكنه من قضائه، أي من مقضيَّاته - فتجد الإنسان مطمئناً، إن أصابته سراء شكر، ولم يحمله ذلك على الأشر والبطر، وإن أصابته ضراء صبر، ولم يحمله ذلك على الجزع والتسخط وكراهة قضاء الله - عز وجل -، بل يعلم أن الله له حكمة في ما قضى وقدر، فيطمئن القلب، ويبقى دائماً مسروراً، والله لا أحد أنعم من الإنسان المؤمن بالقضاء والقدر على الوجه الصحيح المطلوب أبدا .

يقول:

سَقَتْهُمْ كُؤُوسَ الْحُبِّ حَتَّى إِذَا نَشَوْا \*\*\* سَقَتْهُمْ كُؤُوسَ السُّمِّ وَالْقَوْمُ نَوْمٌ

- الله أكبر - أظن أن البيت واضح معناه ، يعني أنها تعريهم وتغرُّهم، فإذا بها تخدعهم وتمكر بهم .

وَأَعْجَبُ مَا فِي الْعَبْدِ رُؤْيَا هَذِهِ الـ \*\*\* عَظَائِمِ وَالْمَغْرُورُ فِيهَا مُتَيَّمٌ

وما ذاك إلا أنَّ خَمْرَةَ حُبِّهَا \*\*\* تَسْلُبُ عَقْلَ الْمَرْءِ مِنْهُ وَتَصْلِمُ

تصلم : يعني تقطع .

وَأَعْجَبُ مِنْ ذَا أَنْ أَحْبَابَهَا الْأُلَى \*\*\* تَهَيَّنُ لِلْأَعْدَاءِ تُرَاعِي وَتُكْرِمُ

هذا المشكل، أحيانا يكون المتيم بها الحب من أقل الناس حظاً فيها، تجده لا ينام الليل من طلب الحياة الدنيا، دائماً شاهق، في فكره، وعقله، وقوله، وفعله، لا ينام ولا يستريح، ومع ذلك هو أقل الناس حظاً منها، وهذا الشيء مشاهدٌ ومجربٌ، هذا من العجب، كيف تجعل أكبر همك ومبلغ عملك هذه الحياة الدنيا التي أنت فيها من أشقى عباد الله ؟ .

قال:

وذلك بُرْهَانٌ عَلَى أَنَّ قَدْرَهَا \*\*\* جَنَاحُ بَعُوضٍ أَوْ أَدَقُّ وَالْأُمَّ  
وَحَسْبُكَ مَا قَالَ الرَّسُولُ مُمَثَّلًا \*\*\* لَهَا وَلِدَارِ الْخُلْدِ وَالْحَقُّ يُفْهِمُ  
كَمَا يُدَلِّي الْإِنْسَانُ فِي الْيَمِّ أَصْبُعًا \*\*\* وَيَنْزِعُهَا مِنْهُ فَمَا ذَاكَ يَغْنُمُ

يعني مثل الحياة الدنيا في الآخرة كرجل جعل إصبعه في اليم، ما [ويش] هو اليم؟ البحر، ثم نزعها  
فليُنظر بما يرجع؟ هذه الدنيا بالنسبة للآخرة إنسان وضع إصبعه في اليم (البحر) ثم نزعها، ما  
[وش] هي نسبة ما بإصبعه من البلل من هذا اليم؟ لا شيء، لا شيء - الله أكبر -؛ هو وضع يده  
في البحر ثم أخرجها، نقص البحر وإلا ما نقص؟ ما نقص، طبعا ما ينقص، وهذا كقول الله - عز  
وجل - في الحديث القدسي: "... يا عبادي، لو أن أولكم وآخركم، وإنسكم وجنكم قاموا في  
صعيد واحد فسألوني، فأعطيت كل إنسان مسألته، ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص المحيط إذا  
غُمس في البحر .." (١) - الله أكبر - هل ينقص؟ لا، لكن هذا من باب تأكيد الشيء بما يشبه النفي،  
"ما نقص إلا" توقع أنه يجيب شيء يبين أنه ناقص، قال: إلا كما ينقص المحيط إلى غمس في البحر .

---

(١) رواه مسلم في صحيحه من حديث أبي ذر الغفاري رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ فيما يرويه عن ربه عز وجل - أنه قال «يَا عِبَادِي إِنِّي  
حَرَمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي، وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا؛ فَلَا تَظَالَمُوا. يَا عِبَادِي؛ كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَنْ هَدَيْتُهُ؛ فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ. يَا عِبَادِي؛  
كُلُّكُمْ جَائِعٌ إِلَّا مَنْ أَطْعَمْتُهُ؛ فَاسْتَطْعِمُونِي أُطْعِمَكُمْ. يَا عِبَادِي؛ كُلُّكُمْ غَارٍ إِلَّا مَنْ كَسَوْتُهُ؛ فَاسْتَكْسُونِي أَكْسِكُمْ. يَا عِبَادِي؛ إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ  
بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا؛ فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ. يَا عِبَادِي؛ إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضُرِّي فَتَضُرُّونِي، وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي فَتَنْفَعُونِي. يَا  
عِبَادِي؛ لَوْ أَنَّ أَوْلَكُمْ، وَآخِرَكُمْ، وَأَنسَكُمْ، وَجَنَّتُمْ كَانُوا عَلَى أَقْبَرِ قَلْبٍ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ؛ مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئًا. يَا عِبَادِي؛ لَوْ أَنَّ أَوْلَكُمْ،  
وَآخِرَكُمْ، وَأَنسَكُمْ، وَجَنَّتُمْ كَانُوا عَلَى أَفْجَرِ قَلْبٍ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ؛ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئًا. يَا عِبَادِي؛ لَوْ أَنَّ أَوْلَكُمْ،  
وَآخِرَكُمْ، وَأَنسَكُمْ، وَجَنَّتُمْ قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، فَسَأَلُونِي، فَأَعْطَيْتُ كُلَّ وَاحِدٍ مَسْأَلَتَهُ؛ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي، إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ  
الْمَخِيطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ. يَا عِبَادِي؛ إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ، أَحْصَيْهَا لَكُمْ، ثُمَّ أَوْفَيْتُكُمْ إِلَيْهَا؛ فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا؛ فَلْيَحْمَدِ اللَّهَ، وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ  
ذَلِكَ؛ فَلَا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ". وقد أورده النووي ضمن كتابه الأربعين النووية برقم (٢٤).

يقول رحمه الله:

أَلَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أُبَيِّنَ لَيْلَةً \*\*\* عَلَى حَذَرٍ مِنْهَا وَأَمْرِي مُبْرَمٌ

وفي نسخة " وَأَمْرِي مُحْكَمٌ "، هذا يقوله من ؟ يقوله ابن القيم، يقول : ليت شعره، يعني شعوره، هل أنا أبيت ليلة على حذر منها وأمري مبرم ؟ أين من يرانا نحن الآن [وين هو يشوفنا نحن الان] ، نحن ما نبيت ولا ربع ليلة على حذر منها، بل دائما على أمن وطمأنينة إليها .

يقول:

وَهَلْ أُرَدًّا مَاءَ الْحَيَاةِ وَأُرْتَوِي \*\*\* عَلَى ظِلِّ مِِنْ حَوْضِهِ وَهُوَ مُنْعَمٌ

وماء الحياة بلا شك هو شريعة الله - عز وجل - .

وَهَلْ تُبْدُوا أَعْلَامَهَا بَعْدَمَا سَفَتْ \*\*\* عَلَى رُبْعِهَا تِلْكَ السَّوَاغِي قَتْلُمُ

يعنى هل تبدو أعلامها: أي علاماتها "بعدها سفت على ربعها تلك السواغي قتلُم" وهل هنا للتمني .

وَهَلْ أَفْرِشُنْ خَدِّي ثَرَى عَتَبَاتِهِمْ \*\*\* خُضُوعًا لَهُمْ كَيْمَا يَرْقُوا وَيَرْحَمُوا

وَهَلْ أُرْمِينُ نَفْسِي طَرِيحًا بِبَابِهِمْ \*\*\* وَطَيْرُ مَنَايَا الْحَبِّ فَوْقِي تُحَوِّمُ

يعني معناه هل أصِلُ بالذل ؛ والمراد بالذل لله - عز وجل - ، أَذِلُّ لَهُمْ ، أضع خدي، "كيما يَرْقُوا وَيَرْحَمُوا"، لأن من تواضع لله - عز وجل - فإنه أقرب الناس إلى رحمة الله .

وَهَلْ أُرْمِينُ نَفْسِي طَرِيحًا بِبَابِهِمْ \*\*\* وَطَيْرُ مَنَايَا الْحَبِّ فَوْقِي تُحَوِّمُ

يقول هل أُرْمِي نَفْسِي طَرِيحًا بِبَابِهِمْ ، وَطَيْرُ مَنَايَا الْحَبِّ فَوْقِي تُحَوِّمُ ؟ هذا أيضا للتمني، يقول أتمنى أن أصِلُ إلى هذا الحال .

فَيَا أَسْفِي تَفَنَّى الْحَيَاءُ وَتَنْقُضِي \*\*\* وَذَا الْعَبُّ بَاقٍ مَا بَقِيْتُمْ وَعِشْتُمْ

يعني يتأسف أن الحياة تفتنى وتنقضي، وما زلتُم تعبتون عليّ، أي تلوموني فيما أفعل .

فما منكمُ بَدٌّ ولا عنكمُ غِنًى \*\*\* ومالي من صَبْرٍ فأسألُ عنكمُ  
ومن شاءَ فليغضبْ سواكمُ فلا أذاً \*\*\* إذا كنتمُ عن عبدِكُمُ قد رَضِيتُمُ

هذا كله واضح ؛ يقول:

وعُتِبِي اضطباري في هواكُم حميدةٌ \*\*\* ولكنها عنكمُ عقابٌ ومأثمٌ

المعنى: أني إذا صبرت وتصبّرت في هواكُم ومحبتكُم والميل إليكم، فإني أرى ذا حميدةً، ولكنها عنكمُ عقابٌ ومأثمٌ، المعنى: أني لو صبرت عنكمُ لكنتُ آثماً ومعذباً، لكني أرجو أن تكون العاقبة حميدةً .

وما أنا بالشاكي لما ترتضونه \*\*\* ولكنني أَرْضَى به وأُسَلِّمُ

يعني أنكم إذا أوقعتُم بي شيئاً رضيتموه لي فإني لا أشكو، ولكن أَرْضَى وأُسَلِّمُ، وهكذا المؤمن يرضى بقضاء الله وقدره ولا يشكوه لأحد .

وحَسْبِي اتِّسَابِي مِنْ بُعِيدٍ إِلَيْكُمْ \*\*\* أَلَا إِنَّهُ حَظٌّ عَظِيمٌ مُفْخَمٌ

إذا قيل عبد الله ونسب الإنسان إلى ربه فهذا أفضل، ولهذا قال المغرّم بمعشوقته :

لا تدعني إلا بياعبها . . . فإنه أشرف أسمائي

قال:

إذا قيلَ هذا عبدُهُم ومُحِبُّهُم \*\*\* تَهَلَّلَ بِشَرِّ وَجْهِهِ يَبَسَمُ

وها هو قد أبدى الضراعةَ سائلاً \*\*\* لكم بلسانِ الحالِ والقالِ مُعَلِّمُ



يعني أنه إذا قيل أن هذا هو عبد آل فلان، ومراده إذا قيل أنه عبد لله، "تَهَلَّ وجهه بُشْرًا يَبَسَّم" ، "وها هو قد أبدى الصراعة" ، وهي : شدة الطلب والالتجاء ، "سائلاً لكم بلسان الحال والقال مُعَلِّم" ، لسان الحال : هو ما يعبر عنه الفعل، ولسان المقال : ما يُعبر عنه اللسان .

أَحِبَّتْهُ عَطْفًا عَلَيْهِ فَإِنَّهُ \*\*\* لَفِي ظُلْمٍ وَالْمُورِدُ الْعَذْبُ أَتُمُّ

يعني يناديهم يقول يا أحبتة، يعني يا أحبتة اعطفوا عطفاً عليه، فَإِنَّهُ "لَفِي ظُلْمٍ وَالْمُورِدُ الْعَذْبُ أَتُمُّ" .  
يقول المؤلف رحمه الله :

فَيَا سَاهِيَا فِي غَمْرَةِ الْجَهْلِ وَالْهَوَى \*\*\* صَرِيحَ الْأَمَانِيِّ عَنْ قَرِيبٍ سَتُدْمُ

الآن بدأ يوجه المؤلف الخطاب لغيره للنصيحة ؛هذا النداء ينادي المؤلف ساهيا غير معين ، ولهذا نصبه ،ينادي من كان ساهيا في هاتين الغمرتين ؛ غمرة الجهل وغمرة الهوى ، وعليهما تدور الفتنة لأن الفتنة إما فتنة شبهة منشأها الجهل أو شهوة منشأها الهوى فإن الإنسان قد يكون جاهلاً فيضِلُّ ،وقد يكون عالماً لكنه لا يريد الحق فيضِلُّ أيضاً ؛ يقول:"صَرِيحَ الْأَمَانِيِّ عَنْ قَرِيبٍ سَتُدْمُ" صريح الأمانى بمعنى مصروع الأمانى ؛ يعني التي صرعته والأمانى هي أن يمني الإنسان نفسه ما يشتهي مع عدم فعل الأسباب ؛يقول سيكون لي كذا سيكون لي كذا ،سيغفر لي ربي ،وما أشبه ذلك مع عدم فعل الأسباب أما الأمانى مع فعل الأسباب فإنها من حسن الظن بالله ،وحسن الظن بالله واجب لكن الأمانى بدون فعل الأسباب هي كما قال العامة "الأمانى رأس مال المفاليس" المفاليس - الذين ليس عندهم شيء - و لهذا قال الرسول - عليه الصلاة والسلام - "العاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأمانى" (١) .

---

( ١ ) رواه الترمذي(٢٥٧٧) والبيهقي(٦٣٠٦) والحاكم(٧٦٣٩-١٩١) عن شداد بن أوس قال :قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

"الْكَيْسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ وَالْعَاجِزُ مَنْ اتَّبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا وَتَمَنَّى عَلَى اللَّهِ" قال الحاكم (هذا حديث صحيح على شرط

البخاري ولم يخرجاه) . ولا توجد لفظ "الأمانى" عند رواة الحديث .

قال:

أَفِقْ قَدْ دَنَا الْوَقْتُ الَّذِي لَيْسَ بَعْدَهُ \*\*\* سِوَى جَنَّةٍ أَوْ حَرِّ نَارٍ تَضَرَّمُ

وعني بذلك الموت فإنه وإن بُعد فهو قريب؛ كما قال تعالى ﴿ وما يدريك لعل الساعة تكون قريباً ﴾ [ الأحزاب - ٦٣ ] ، وقال تعالى ﴿ إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَآتٍ وَمَا أَنتُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴾ [ الأنعم - ١٣٤ ] ، ومن الأمثال السائرة " كل آتٍ قريب "؛ فالوقت الذي ليس بعده إلا جنة أو نار هو قريب من كل أحد ، فعليك أن تحرص على مبادرة الزمن .

وَبِالسَّنَةِ الْغَرَاءِ كُنْ مَتَمَسِّكًا \*\*\* هِيَ الْعُرْوَةُ الْوُثْقَى الَّتِي لَيْسَ تُفْصَمُ

السنة: ما ثبت عن النبي - عليه الصلاة والسلام - من قول أو فعل أو إقرار ؛ تمسك بها عض عليها بالنواجذ فإنها هي الغراء - البيضاء - النقية التي ليس فيها ما يكشف ضوءها أو نورها لا من شبهة ولا من شهوة .

تَمَسِّكْ بِهَا مَسِّكَ الْبَخِيلِ بِمَالِهِ \*\*\* وَعَضَّ عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ تَسْلَمُ

لو سألنا من أشد الناس أو ما هو أشد تمسكاً على وجه الأرض قلنا تمسك البخيل بماله ، البخيل يعثر وينشرح جلده ويسيل دمه ثم يلتفت ويقول شوف ثوبي على عسى ما انشق ؛ لأنه يتمسك بماله أشد مما يتمسك ببدنه ويذكر المثل السائر " شوي والا في النعلة " ؛ إنسان عثر وانقطعت إصبعة قال " شوي وآلا في النعلة " ، يعني أنها في إصبعة أهون عليه من النعلة ، وهكذا البخيل لا يمكن أبداً أن يفرط بشيء من ماله ؛ وما أجمل هذا التشبيه الذي قاله المتنبى أظن :

بليت بلى الأطلال إن لم أقف بها . . . وقوف شحيح ضاع في التراب خاتمه

الأطلال : الآثار ، إن لم أقف بها وقوف شحيح ضاع في التراب خاتمه ؛ الشحيح الذي ضاع في التراب خاتمه يسهل عليه الذهاب وإلا لا؟ ما يذهب أبداً ، يُحَرِّثُ بالتراب يمكن لو يكاد يفتت كل ذرة من التراب لعل خاتمه يوجد فيها ؛ ما يمكن يمشي .

فالمؤلف رحمه الله يقول : تَمَسَّكَ بِهَا مَسْكَ الْبَخِيلِ بِمَالِهِ ، وهذا من باب التشبيه وإلا فلا سواء بين من تمسك بالسنة والبخيل ، ولا بين المال وبين السنة .

وَدَعْ عَنْكَ مَا قَدْ أَحْدَثَ النَّاسُ بَعْدَهَا \*\*\* فَمَرَّتْ هَاتِيكَ الْحَوَادِثُ أَوْحَمُ

صدق - رحمه الله - اترك ما أحدثه الناس ، لأن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة ، فمرتع الحوادث وخيم يضر ولا يفيد .

وَهَيَّيْ جَوَابًا عِنْدَمَا تَسْمَعُ النِّدَاءَ \*\*\* مِنْ اللَّهِ يَوْمَ الْعَرْضِ مَاذَا أَجَبْتُمْ

بِهِ رُسُلِي لَمَّا أَتَوْكُمْ فَمَنْ يَكُنْ \*\*\* أَجَابَ سِوَاهُمْ سَوْفَ يُخْزَى وَيُنْذَمُ

- الله أكبر- يوم القيامة يقول الله تعالى ﴿ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ ﴾ [القصص - ٦٥] ماذا أجبتُم المرسلين ؟ أجبتُم بالطاعة بالسمع ؟ أو بالمخالفة والعصيان ؟

فإن كنت أجبت الرسل فقد سعدت ، وإن كنت أجبت سواهم فيقول المؤلف "فسوف يُخْزَى وَيُنْذَمُ" والعباد بالله ؛ والذين يسيرون وراء البدع وراء المبتدعين وراء كبرائهم وزعمائهم في ما يخالف السنة والمرسلين ، سوف يخزون يوم القيامة ويندمون ﴿ إِذِ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوْا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ ﴾ (١٦٦) وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّأُوا مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ ﴿ [البقرة - ١٦٦] .

قال:

وَحُذِّ مِنْ تَقَى الرَّحْمَنِ أَعْظَمَ جُنَّةٍ \*\*\* لِيَوْمٍ بِهِ تَبْدُو عَيَانًا جَهَنَّمَ

- الله أكبر - خذ أعظم جنة والجنة ما يستتر به المقاتل في القتال عن سهام الأعداء "ليومٍ به تَبْدُو عَيَانًا جَهَنَّمَ" ، لأنه يُؤْتَى بها أمام العالم وهي تقاد بسبعين ألف زمام كل زمام يقوده سبعون ألف ملك<sup>(١)</sup> ، منظر

( ١ ) رواه مسلم (٢٨٤٢) والترمذي (٢٦٩٨) وأخرجه الحاكم (٨٧٥٨) عن عبد الله [عبد الله ابن مسعود] ، قال:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام. مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها" . .

عظيم مهيل ؛ ثم إذا أُلقي فيها أهلها ﴿ سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ ﴾ [الملك - ٧] . تشهق كأنها في أشد ما يكون من التشوف والتشوق إليهم ﴿ وَهِيَ تَفُورُ ﴾ (٧) تَكَادُ تَمَيِّزُ مِنَ الْغَيْظِ ﴿ [الملك - ٨] . يتميز يعني تقطع ، والإنسان إذا امتلأ غيظاً امتلاً حتى تقول يكاد يتفسخ جلده ؛ فهي ﴿ تَكَادُ تَمَيِّزُ مِنَ الْغَيْظِ ﴾ كَلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا ﴿ [الملك - ٨] لا سؤال استرشاد ؛ بل سؤال توبيخ ﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴾ (٨) قَالُوا بَلَى قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ (٩) وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ (١٠) فَاعْتَرَفُوا بِذَنبِهِمْ فَسُحْقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿ [الملك - ١١] ، هذا ما ينفع الآن ما ينفع ؛ ينفع هذا الندم إذا كان في دار العمل ، أما في دار الجزاء والله ما ينفعنا ، لا ينفعنا إلا ما نعمله في هذه الدنيا ونستعد به للآخرة .

قال:

**وَيُنْصَبُ ذَاكَ الْجِسْرُ مِنْ فَوْقَ مَتْنِهَا \*\*\* فَهَاوٍ وَمَخْدُوشٌ وَنَاجٍ مُسَلَّمٌ**

الجسر: الصراط ينصب على متن جهنم أدق من الشعر وأحد من السيف <sup>(١)</sup> ، يمر الناس فيه على قدر أعمالهم ؛ فمنهم من ينجوا ويسلم ، ومنهم الهاوي في جهنم ، ومنهم المخدوش يمشي أحياناً ويحبوا أحياناً من كان مسرعاً في مرضات الله في الدنيا كان مسرعاً على الصراط ، ومن كان بطيئاً كان بطيئاً ، ومن زلت به قدمه في الدنيا زلت به قدمه في الآخرة .

قال:

**وَيَأْتِي إِلَهُ الْعَالَمِينَ لَوْعِدِهِ \*\*\* فَيَفْصِلُ مَا بَيْنَ الْعِبَادِ وَيَحْكُمُ  
وَيَأْخُذُ الْمَظْلُومَ رَبُّكَ حَقُّهُ \*\*\* فَيَا بُؤْسَ عَبْدٍ لِلْخَلْقِ يَظْلُمُ**

( ١ ) رواه البخاري (٧٠٠١) كتاب التوحيد ومسلم (٣٠٢-١٨٣) كتاب الإيمان من حديث أبي سعيد الخدري الطويل والذي فيه ذكر

أحوال يوم القيامة وقد جاء فيه "ثم يضرب الجسر على جهنم . وتحل الشفاعة . ويقولون: اللهم! سلم سلم" . قيل: يا رسول الله! وما

الجسر؟ قال "دحض مزلة . فيه خطاطيف وكلاليب وحسك . تكون بنجد فيها شويكة يقال لها السعدان . فيمر المؤمنون كطرف العين

وكلابرق وكلاليج وكلاطير وكأجاود الخيل والركاب . فجاج مسلم . ومخدوش مرسل . ومكدوس في نار جهنم . . . . الحديث"

يأتي الله - عز وجل - للفصل بين عباده بعد أن يشفع النبي - صلى الله عليه وسلم - إلى ربه في خلقه<sup>(١)</sup> فإن الناس يلحقتهم من الغم والكرب ما لا يطيقون ؛ فيتكلم بعضهم مع بعض :اطلبوا من يشفع لنا إلى ربنا ليربحنا من هذا الموقف ، فيأتون إلى آدم ثم إلى نوح ثم إلى إبراهيم ثم إلى موسى ثم إلى عيسى ولا يجيدون من هؤلاء من يشفع على اختلاف بينهم في أَعذارهم ،إلا عيسى فلا يقدم عذرا ، لكنه يبين من هو أولى بها ، يقول " اذهبوا إلى محمد عبدِ غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر " وهذا داخلٌ في قوله تعالى ﴿عَسَى أَنْ يَبْعَثَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا﴾ [الإسراء - ٧٩] فيأتون إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فيقول " أنا لها " ثم يذهب فيستأذن من الله - عز وجل - أن يشفع فيأذن الله له ، ثم يُقال " ارفع رأسك وقل تسمع واشفعُ تشفع " فيشفع إلى الله أن يقضي بين عباده فيأتي الربُّ - عز وجل - للقضاء بين عباده ﴿ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾ [الفجر - ٢٢] الملائكة كلها صافة ملائكة كل سماء ينزلون ، فينزل ملائكة السماء الدنيا ويحيطون بالخلق ثم الثانية من ورائهم ثم الثالثة من ورائهم إلى السابعة ثم ينزل الربُّ - عز وجل - فيأتي للقضاء بين عباده نزولا لا نعرفُ كيفيته ؛ لكن نؤمن به ونعرف معناه ، أما الكيفية فلا يمكن أن نعرف الكيفية لأنه تابعٌ لذات الله ، وذاتُ الله تعالى غير معلومة

---

( ١ ) رواه البخاري (٤٢٠٤) وابن ماجه (٤٣١٢) عن أنس رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (يجتمع المؤمنون يوم القيامة فيقولون: لو استشفعنا إلى ربنا، فيأتون آدم فيقولون: أنت أبو الناس، خلقتك الله بيده، وأسجد لك ملائكتك، وعلمك أسماء كل شيء، فاشفع لنا عند ربك حتى يربحنا من مكاننا هذا . فيقول: لست هناك، ويذكر ذنبه فيستحي، ائونا نوحا، فإنه أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض . فيأتون فيقول: لست هناك، ويذكر سؤاله ربه ما ليس ليه به علم فيستحي، فيقول: ائونا خليل الرحمن . فيأتونه فيقول: لست هناك، ائونا موسى، عبدا كلمه الله وأعطاه التوراة . فيأتونه فيقول: لست هناك، ويذكر قتل النفس بغير نفس، فيستحي من ربه فيقول: ائونا عيسى عبد الله ورسوله، وكلمة الله وروحه . فيقول: لست هناك، ائونا محمد صلى الله عليه وسلم، عبدا غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، فيأتوني، فأطلق حتى أستأذن على ربي فيؤذن لي، فإذا رأيت ربي وقت ساجدا، فيدعني ما شاء الله، ثم يقال: ارفع رأسك، وسل تعطه، وقل يسمع، واشفع تشفع . فأرفع رأسي، فأحمده بتحميد يعلمنيه، ثم أشفع، فيحد لي حدا فأدخلهم الجنة، ثم أعود إليه، فإذا رأيت ربي، مثله، ثم أشفع فيحد لي حدا فأدخلهم الجنة، ثم أعود الرابعة فأقول: ما بقي في النار إلا من حبسه القرآن، ووجب عليه الخلود) ؛ قال أبو عبد الله: إلا من حبسه القرآن، يعني قول الله تعالى: ﴿ خالدين فيها ﴾ .

الكيفية كذلك صفاته فيفصل بين العباد ويقضي للظالم من المظلوم ؛ ثم ندب المؤلف - رحمه الله - البؤس للعبد الذي يظلم الخلاق لأنه يُؤخذ من حسناته ويُعطى للمظلوم فإن بقي من حسناته شيء وإلا أخذ من سيئات المظلومين فطُرح عليه ثم طُرح في النار<sup>(١)</sup>، ثم ذكر المؤلف - رحمه الله - نشر الدواوين ووضع الموازين فقال :

وَيُنْشَرُ دِيوَانُ الْحِسَابِ وَتَوْضَعُ أَلْ \*\*\* حَوَازِينُ بِالْقِسْطِ الَّذِي لَيْسَ يَظْلَمُ  
فَلَا مُجْرِمٌ يَخْشَى ظِلَامَةَ ذَرَّةٍ \*\*\* وَلَا مُحْسِنٌ مِنْ أَجْرِهِ ذَاكَ يَهْضُمُ

الدواوين هي الصحف التي كُتِبَ فيها ما عمله الإنسان قال الله تعالى ﴿وَكُلُّ إِنْسَانٍ أَزْمَنُهُ طَائِرُهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا (١٣)﴾ اقرأ كتابك كفي بنفسك اليوم عليك حسيباً ﴿[الإسراء - ١٤] قال الحسن " لقد أنصفك من جعلك حسيباً على نفسك " أليس كذلك ؟ هذا الإنصاف خُذ أنت حاسب نفسك ، وكذلك أيضاً توضع الموازين والموازين جمع ميزان فهل هي حسية أو معنوية ؟ الجواب :هي حسية ، ميزان حسي له كفتان ترجح إحداها بالأخرى ، والذي يوضع والذي يوزن هو الأعمال يجعلها الله - سبحانه وتعالى - أجساماً فتوضع في الموازين ، كما جعل الله الموت وهو معنى من المعاني جعله جسماً ؛ فإنه " يُؤْتَى يوم القيامة بالموت على صورة كبش أملح فيوقف بين الجنة والنار ويقال لأهل الجنة " يا أهل الجنة ؛ فيشرأبون ويطلعون ويقال لأهل النار ؛ يا أهل النار ؛ فيشرأبون ويطلعون " فيقال للجميع : " هل تعرفون هذا ؟ " فيقول " نعم هذا الموت " فيُذبح بين

---

( ١ ) رواه مسلم (٢٥٨١) والترمذي (٢٥٣٣) عن أبي هريرة : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "أتدرون ما المفلس؟" قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع. فقال "إن المفلس من أمتي، يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة، ويأتي قد شتم هذا، وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا. فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته. فإن فنيت حسناته، قبل أن يقضى ما عليه، أخذ من خطاياهم فطرحت عليه. ثم طرح في النار".

الجنة والنار ويقال " يا أهل الجنة خلود ولا موت ويا أهل النار خلود ولا موت فيزداد أهل الجنة سروراً إلى سرورهم ويزداد أهل النار غماً إلى غمهم " <sup>(١)</sup>، نسأل الله أن يُعيدنا وإياكم من النار.

فالذي يوزن هي الأعمال ولهذا قال الله تعالى ﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (٧) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ (٨) ﴾ [الزلزلة - ٨] وقال النبي - صلى الله عليه وسلم - " كلمتان حبيبتان إلى الرحمن خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان " ثقيلتان يعني الكلمتين " سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم " <sup>(٢)</sup>؛ وقال بعض أهل العلم ( إن الذي يوزن الصحف ) صحف الأعمال لأن الترمذي روى حديثاً عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - " أنه يؤتى برجل تعرض عليه أعماله في صحفه فيوضع له سجلات مد البصر كلها أعمال سيئة حتى إذا رأى أنه هلك قيل له : إن لك عندنا حسنة ، فيؤتى ببطاقة ليست بشيء بجانب هذه السجلات فيقول : ما شأن هذه البطاقة إلى هذه السجلات ؟ فيقال : إنك لا تظلم ، ثم توضع البطاقة في كفة والسجلات في كفة فترجح بهن البطاقة " <sup>(٣)</sup>؛ وهذا يدل على

( ١ ) رواه مسلم (٢٨٤٩) عن أبي سعيد . قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "يجاء بالموت يوم القيامة كأنه كبش أملح (وزاد أبو كريب) فيوقف بين الجنة والنار (واتفقا في باقي الحديث) فيقال: يا أهل الجنة! هل تعرفون هذا؟ فيشرئبون وينظرون ويقولون: نعم. هذا الموت. قال ويقال: يا أهل النار! هل تعرفون هذا؟ قال فيشرئبون وينظرون ويقولون: نعم. هذا الموت. قال فيؤمر به فيذبح. قال ثم يقال: يا أهل الجنة! خلود فلا موت. ويا أهل النار! خلود فلا موت" قال ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿ وَأَنْذَرُهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [مريم - ٣٩] وأشار بيده إلى الدنيا .

( ٢ ) رواه مسلم (٢٦٩٤) والبخاري (٧١٢٤) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: "كلمتان حبيبتان إلى الرحمن، خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم".

( ٣ ) رواه الترمذي (٢٧٧٦) وأحمد عن عبد الله بن عمرو بن العاص يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "إن الله سيخلص رجلاً من أمتي على رؤوس الخلق يوم القيامة فينشر عليه تسعة وتسعين سجلاً، كل سجل مثل مد البصر ثم يقول: أتتكر من هذا شيئاً؟ أظلمك كني كني الحافظون؟ يقول لا يارب فيقول: أفلك عذر؟ فيقول لا يارب، فيقول: بلى إن لك عندنا حسنة وإنه لا ظلم عليك اليوم، فيخرج بطاقة فيها أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، فيقول: احضر وزنك، فيقول يارب ما هذه البطاقة ما هذه السجلات؟ فقال فانك لا تظلم. قال: فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة فطاشت السجلات وثقلت البطاقة، ولا يثقل مع اسم الله شيء". هذا حديث حسن غريب. ؛ قال الحاكم في المستدرک (١٩٣٧) حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

أن الذي يوزن صُحف الأعمال وقال بعض العلماء ( الذي يوزن العامل ) واستدلوا بما ثبت في الصحيح أن ابن مسعود - رضي الله عنه - قام إلى شجرة أراك ، شجرة الأراك ماهي ؟ المساويك ، وكانت الريح شديدة فجعلت تكفى عبد الله بن مسعود فقال النبي - عليه الصلاة والسلام - وهم ينظرون إلى دقة ساقيه " إنهما في الميزان مثل جبل أحد " وهذا يدل على أن الذي يوزن العامل ؛ ولكن لاشك أن نصوص القرآن وصحيح السنة يدل على أن الذي يوزن العمل نفسه ؛ وتكون هذه إما أنها باعتبار أشخاص معينين أو أن بعض الناس يوزن عمله وبعضهم يوزن هو نفسه وبعضهم يوزن صحائف أعماله .  
ثم قال المؤلف - رحمه الله - :

وتشهد أعضاء المُسيء بما جنى \*\*\* كذاك على فيه المهيمن يحتم

- الله أكبر - يوم القيامة يحاول المشرك أن يحدد فيقولون ﴿ وَاللَّهِ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴾ [الكهف - ٢٣] يحلفون !! يظنون أنهم إذا حلفوا في الآخرة نجوا كما ينجون في الدنيا !! ، قال الله تعالى ﴿ أَنْظِرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ ﴾ [الكهف - ٢٤] ثم يحتم على أفواههم والعياذ بالله وتشهد عليهم أيديهم وأرجلهم وجلودهم وألسنتهم بما كانوا يعملون ، تشهد أيديهم بما عملوا باليد ، وأرجلهم بما عملوا بالمشي ، وجلودهم بما عملوا باللمس وألسنتهم بما عملوا بالنطق ، هل يبقى عذرٌ بعد ذلك ؟ لا !! ينكرون على جلودهم ﴿ لَمْ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تَرْجَعُونَ ﴾ [فصلت - ٢١] .

يقول - رحمه الله - :

فيا ليت شعري كيف حالك عندما \*\*\* تطايرُ كتب العالمين وتُقسمُ

أأأخذ باليمينى كتابك أم تكن \*\*\* بالأخرى وراء الظهر منك تسلمُ

وتقرأ فيه كل شيء عملته \*\*\* فيشرق منك الوجه أوهو يُظلمُ

تقول كتابي فاقراؤه فإنه \*\*\* بشر بالفوز العظيم ويُعلمُ



فإن تكن الأخرى فإنك قائلٌ \*\*\* ألا ليتني لم أوتيه فهو مُعْرَمٌ

هذه حال الإنسان عندما يعطى كتابه إما باليمين وإما بالشمال فإن أعطى باليمين اقتخر وفرح وسُر وقال ﴿ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهٗ ﴾ [الحاقة - ١٩] كما يعرض الإنسان ورقة نجاحه على الناس ؛أنظروا إلى ورقة النجاح أنا ناجح ، درجاتي جيدة وما أشبه ذلك ، فهو يوم القيامة يفرح يقول للناس هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِي . أما من أوتي كتابه بشماله فهو بالعكس والعياذ بالله يقول ﴿ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهٗ ﴾ (٢٥) وَلَمْ أُدْرِ مَا حِسَابِيَهٗ ﴾ [الحاقة - ٢٦] ليتني ما علمت ليتني ما أوتيت كتابي لكن هذا لا ينفعه ؛فحينئذ يسفر الوجه - وجه من أخذ كتابه بيمينه - ويظلم الوجه - وجه من أخذه بشماله - ﴿ يَوْمَ نَبِضُ وُجُوهُ وَسَوْدُ وُجُوهُ ﴾ [آل عمران - ١٠٦] .

المؤلف يقول " يا ليت شعري كيف حالك " ليت شعري يعني ليت شعوري ، يعني ليتني أشعر ماذا تكون حاله ، والجواب لو شعرت بحاله لشعرت بأمر عظيم سرورا أو حزنا .

فبادر إذاً مادام في العمر فسحةٌ \*\*\* وعذرك مقبولٌ وصرفك قيمٌ

فبادر إذاً : يعني الآن

فبادر إذاً مادام في العمر فسحةٌ \*\*\* وعذرك مقبولٌ وصرفك قيمٌ  
وجدٌ وسارع واغتنم زمن الصبا \*\*\* ففي زمن الإمكان تسعى وتغنم  
وسر مسرعاً فالسيل خلفك مسرعاً \*\*\* وهيهات ما منه مفر ومهزم

يعني سر مسرعاً فإن السيل وراءك ، والإنسان إذا علم أن السيل وراءه يسرع يفر منه .

فهن المنايا أي وإذ نزلتهُ \*\*\* عليها القدوم أو عليك ستقدمُ

صدق - رحمه الله - ﴿ أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكُكُمُ الْمَوْتُ ﴾ [النساء - ٧٨] أي وإذ نزلته فإنك ستنزل عليها أو هي تنزل عليك ، أحياناً يفر الإنسان من الموت فإذا به يموت في فراشه فيكون نزل عليها وإنزلت عليه ؟ نزل عليها دائماً يفر، وإذا به يموت في فراشه وهذا كثيرٌ، كثيراً ما يكون ؛ لا سيما في الخطوط

السريعة هذه ، ينزل من السيارة ويفر عن وسط الخط ليكون في طرف في جانبه فإذا بسيارة أخرى تلقفه ؛ فيكون قد فر من المنية إلى المنية " تنزل عليه " فإن لم تكن عليها نازل فإنها سوف تنزل عليك وإن طالت بك الحياة ؛ ثم قال:

### فحيّ على جنات عدن فإنها \*\*\* منازل الأولى وفيها المخيم

حيّ : أقبل ، وجنات عدن : جنات الإقامة ، وسميت بذلك لأن المقيم فيها لا يبغي عنها حولا ؛ في هذه الدنيا في أي قصر نزلت ترى قصراً أحسن منه فتقول ليث هذا لي ، وتطلب الرحيل إن تيسر لك ؛ لكن في الجنة أبداً لا تمنى منزلة غير منزلتك ﴿ لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴾ [الكهف - ١٠٨] ولا يرى أن غيره أنعم منه ، ولهذا سميت جنات عدن أي إقامة فلاموت ، ولامرض ، ولاسامة ولا نظر إلى الغير .  
يقول : منازل الأولى ! كيف هي منازل الأولى ؟ لأن آدم أُخرج من الجنة وهذا دليل على أن المؤلف رحمه الله يرى أن الجنة التي أُخرج منها آدم هي جنة الخلد ، وهذا أحد القولين للعلماء ، والخلاف فيها مشهور ؛ والراجح إنها هي جنة الخلد ؛ ولكن آدم - عليه الصلاة والسلام - لحكمة أرادها الله - عز وجل - حصلت منه المخالفة فأُخرج منها ؛ لكن أتدرون أن هذه المخالفة فيها مصلحة لآدم ولبنى آدم ، لو لم ينزل من الجنة ما صار هناك ابتلاء وامتحان ، لكن كل الناس في الجنة إن كان الله تعالى قد قدر له ذرية ، ولو لم ينزل ما حصل له هذا الوصف العظيم ﴿ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى ﴾ (١٢١) ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ ﴿ طه - ١٢٢ ﴾ الاجتباء والاصطفاء متى حصل ؟ بعد أن عصى ربه قتاب وهذه منزلة رفيعة حصلها بعد ذلك ، فالله - عز وجل - حكيم في ما قدره على آدم فكان مصلحة له ومصلحة لذريته .  
قال :

### ولكننا سبي العدو فهل ترى \*\*\* نعود إلى أوطاننا فئسلم

من العدو الذي سبانا ؟ الشيطان ؛ هو الذي تسبب [ يا عادل ] بإخراج آدم من الجنة لأنه الخبيث وسوس لآدم وسوس عظيمة ﴿ وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ ﴾ [الأعراف - ٢١] أتى بإقسامات

عظيمة يقول أنا ناصح ﴿إِنِّي لَكُمَا لِمَنِ النَّاصِحِينَ﴾ (٢١) فَدَلَاهُمَا بِغُرُورٍ ﴿[الأعراف - ٢٢] قَالَ ﴿يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَى﴾ [طه - ١٢٠] سبحانه الله ! والإنسان بشر ؛ بهذه الاقسامات العظيمة وهذا الغرور وهذه الزخرفة - شجرة خلد وملك لا يبلى - حصل ما حصل فكان الله على كل شيء قدير .

يقول:

ولكننا سبي العدو فهل ترى \*\*\* نعود إلى أوطاننا فنسلم

وقد زعموا أن الغريب إذا نَسَا \*\*\* وشطت به أوطانه فهو مؤلم

وأي اغترب فوق غربتنا التي \*\*\* لها أضحت الأعداء فينا تحكّم

يعني زعم الناس كذباً وإلا حقيقة ؟ حقيقة ؛ الزعم هنا ليس معناه الكذب ؛ الغريب إذا بُعد وشطت به أوطانه يتألم وإلا لا ؟ يتألم ولا يقر له قرار حتى يرجع إلى وطنه فهل نحن غرباء عن وطننا الأول الجنة ؟ الجواب : نعم غرباء وتلقفنا الأعداء ولهذا قال:

أي اغترب فوق غربتنا التي \*\*\* لها أضحت الأعداء فينا تحكّم

قال النبي عليه الصلاة والسلام لعبد الله ابن عمر "كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل" بعد أن أخذ بمنكبيه أو بمنكبه فقال "كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل" وكان ابن عمر رضي الله عنهما يقول: "إذا أصبحت فلا تنتظر المساء وإذا أمسيت فلا تنتظر الصباح"<sup>(١)</sup>، لا تقول أعمل إن شاء الله في المساء معي وقت أتوب إلى الله في المساء معي وقت !

لا تقول هكذا إذا قلت هكذا ذهب عنك الوقت "وخذ من صحتك لمرضك ومن حياتك لموتك" ما دمت صحيحاً اغتم لأنك ربما تمرض ما دمت حياً اغتم فإنك ستموت كل حي سيموت ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ (٢٦) وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿[الرحمان - ٢٧] .

قال :

وحيَ على روضاتها وخيامها \*\*\* وحيَ على عيشٍ بها ليس يُسَمُّ

يعني أقبل إلى جنات عدن روضاتها وخيامها ، وعيش لا يسَمُّ فيها ولا يُمل ؛ روضاتها لها غراس ما هي ؟

"سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر"

كم من شجرة "سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ؛ سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر" كل واحدة فيها شجرة بدون تعب بدون سأم وغرس ناجح وإلّا يموت ؟ ناجح . ناجح ما يموت نحن الآن تكلف على غرس شجيرة صغيرة [ كلفة ] في إحضارها ، وفي تهيئة المكان لها ، وفي سقيها ، وربما يأتيها إعصار فيحرقها ؛ أليس كذلك ! وربما نموت قبل أن تصلح فقفوت ! أما الجنة نسأل الله أن يجعلني وإياكم من أهلها فليست كذلك .

يقول :

وحيَّ على يوم المزيد فإنه \*\*\* لموعد أهل الحب حين يُكرَّم

يوم المزيد هو اليوم الذي يلتقي فيه أهل الجنة مع الله - سبحانه وتعالى - يلتقي به أهل الجنة مع الله ، فيزدادون سروراً ونعيماً وطيباً إلى ما هم فيه من النعيم والطيب .

قال :

وحيَ على وادٍ هنالك أفيح \*\*\* منابر من نورٍ لمن هو مُكرَّم

ومن حولها كُتبانٌ مسك \*\*\* مقاعدُ لمن دونهم هذا العطاء المفخَّم

يرون به الرحمان جل جلاله \*\*\* كروية بدر التِّم لايتوهمُ

أو الشمسِ صحوّ ليس من دون أفقها \*\*\* سحابٌ ولا غيمُ هناك يغيمُ

اللهم لا تحرمنا هذا المنظر؛ لهم يوم يسمى يوم المزيد وقد جاء في الآثار أنه يوم الجمعة وأن وقت اللقاء وقت صلاة الجمعة، يلاقون الله - سبحانه وتعالى - وينظرون إليه كما ينظرون إلى القمر ليلة البدر لا أنه هو كالبدر ! هو أعظم من أن يكون له مثل لكن الرؤية تتحقق كما تتحقق رؤية القمر ليلة البدر أو الشمس صحواً ليس دونها سبحانه كما أخبر بذلك النبي - صلى الله عليه وسلم - وكما جاءت بذلك الآيات القرآنية ولقد حُرِّمَ لذت الصدق في الدنيا من أنكر هذه الرؤيا ! وقال أنها رؤية الثواب وليست رؤية الرب عز وجل ؛ أو قال إنها كناية عن العلم اليقيني الذي يكون في قلوبهم ولقد حُرِّمَ لذت التصديق ويُخشى أن يُحَرِّمَ لذت التحقيق والعباد بالله يوم القيامة لأن الآيات فيها واضحة والأحاديث فيها متواترة كما قيل :

مما تواتر حديث من كذب . . . . . ومن بنى لله بيتاً واحتسب

ورؤية شفاعته والحوض . . . . . ومسح الخفين وهاذي بعض

فآليات الآيات ظاهرة ساطعة والأحاديث متواترة متكاثرة تلقاها أهل العلم والإيمان بالتصديق والإيقان

وليس بها إشكال؛ فيرون الله جل جلاله كما يرون القمر ولكن هل يدركونه عند رؤيته ؟

الجواب : لا ؛ لا يدركونه لأن الله يقول ﴿ لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ

﴾ [الأنعام - ١٠٣] وكما أننا لا نحيط به علماً فلا نحيط به رؤيةً ، لكننا نراه ؛ وها نحن نرى الشمس

ولكن هل نحن نحيط بها ؟ لا ، ما نحيط بها .

إذاً فالله - عز وجل - يرى ولكن لا يحاط به ؛ نراه كيف يشاء الله - سبحانه وتعالى - لكن بدون

إحاطة ؛ قال :

فبيناهم في عيشهم وسرورهم \*\*\* وأرزاقهم تجري عليهم وتقسم

إذا " إذا الفجائية ؛ يعنى في هذا الوقت يفاجئون .

( إذا هم ) بنور ساطع قد بدا لهم \*\*\* وقد رفعوا أبصارهم فإذا هم

بربهم من فوقهم قائلٌ لهم \*\*\* سلام عليكم طبتُم ونعمتُم .

يعنى بينا هم في العيش والسرور والنعيم واللذة العينية والسمعية أو بعبارة أصح البصرية والسمعية والقلبية ، فيها مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ؛ نعيم لا يمكن أن ندركه في الدنيا أبداً ولا يخطر على قلوبنا ولا نراه في غيرها .

بينما هم في هذا النعيم ، إذا هم بنور ساطع قد بدا لهم فيرفعون أبصارهم ؛ ما هذا النور العظيم الذي بدا ساطعاً ! ؟ فإذا هم بالله - عز وجل - يقول وهو فوق : سلام عليكم طبتُم ونعمتُم ؛ ما أحلى هذا الكلام وما أجل هذا الصوت ؛ يقول الرب - عز وجل - سلام عليكم .

إذاً هذا خبر أو دعاء ؟ هذا خبر لأن الله لا يدعوا أحداً بل هو المدعو ؛ إذاً عليكم السلام من كل الآفات من كل الآفات وبعد السلام أيضاً طيب - طبتُم ونعمتُم - طبتُم في القلب والبدن والسرور ونعمتُم كذلك ؛ يقول :

سلام عليكم يسمعون جميعهم \*\*\* بأذانهم تسليمه إذ يسلمُ

فبالله ما عذر إمرئٍ هو مؤمنٌ \*\*\* بهذا ولا يسعى له ويقدم

ولكنما التوفيق بالله إنه \*\*\* يخص به من شاء فضلاً وينعمُ

اللهم إنا نسألك أن توفقنا لذلك إنك جواد كريم والحمد لله رب العالمين وأصلى وأسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين .